رِحَلُ أبي القاسم الخُوارِزمي
غاياتها وظواهرها الفنية

بقلم: د. عبدالله بن سليم الرشيد*

مدخل:

يظل تراث العرب مكنَزًا لكثير من الجواهر، التي تغيب أو تُغيَّب عن أنظار الباحثين والدارسين، ففي بطون مدوَّنات الأدب واللغة موادّ طرائف، لم تُسلَّط عليها أقلام النقاد، ولم تزل بحاجة إلى من يعرِّف بها، ويُعمِل فيها أدواته النقدية، ويبدو أنّ التراث النثري بخاصة ما يزال في حاجة إلى دراسات كثيرة، ولاسيما نثر فئام من الكتاب في العصر العباسي، ومنهم أبو القاسم الخوارزمي الذي يسّر الله لي جمع نصوص كتابه (الرِّحَل) وضمّ أشتاتها، في كتاب جعلتُ عنوانه "**ما بقي من كتاب الرِّحَل**"، وتصدى مركز حمد الجاسر الثقافي لنشره، وهو الذي سأعتمده في تخريج النصوص في بحثي هذا.

لقد عمدت إلى قراءة هذه الرِّحَل -بل ما بقي منها- وحاولت استنطاق حاضرها عن خبر غائبها، واستنباءَ ظاهرها عن نبأ باطنها، جاعلاً بين

يديّ تخطيطًا أشبه بصوى تأخذ باليد في متاهة الغموض الذي يلفّ طبيعة سائر الرِّحل المفقودة، مُلِحًّا على ما جاء منها مكتملاً، مستعرضًا بعض ما ورد في أشلاء الرحل الباقية.

التعريف بصاحب الرِّحَل:

هو أبو القاسم عبدالله بن محمد بن علي بن محمد الراقُطائي[1] الخوارزمي، قدم والده من خوارزم، وسكن براقطا، وولد له عبدالله بها، وطلب العلم وقرأ الأدب على أبيه وغيره، وروى عن مشايخ وقته، وأفاد بها بواسط في سنة ٥٠٠هـ، وقدم بغداد في سنة ٥١٠هـ، وروى بها شيئًا من شِعره وتصانيفه[2]، وعاد إلى بلده بعد قدومه بغداد، وتوفي بعد ذلك بيسير.

كان يلقّب بـ (الكامل)[3]، ووصف بأنه من أضراب الحريري ومعاصريه[4]، وله شِعر، أورد القفطي منه ما يُستدلّ به على أنه ليس بذي قريحة جيّدة فيه[5].

وقد سكتت المصادر عن التعريف بهذا الأديب، ولم يتعرض له بتوسّع سوى العماد الأصفهاني (ت٥٩٧هـ)، الذي جاد على تاريخ الأدب بذكر بعض مقاطع من رِحَله، وأثبت منها اثنتين كاملتين تقريبًا.

الرِّحَـــل:

الرِّحَل لغة جمع رِحْلة، وهي هنا نصوص نثرية بناها الخوارزمي على حوادث متخيّلة، مجموعها ست عشرة رحلة[6]، ضاع جُلُّها، ولم يبق سوى أشتات حفظتها بعض المدوّنات، فيها تصرُّف بالتغيير أو الحذف.

يذكر عماد الدين الأصفهاني أنه أهديت إليه نسخة من "كتاب الرِّحَل" بخط الخوارزمي نفسه[٧]. ومنها انتقى ما بثَّ في كتابه من نماذج. وكان مما انتقى أنموذجان يبدوان لي نصيْن كاملين، فإذا أضفتُ إليهما النص الكامل لرحلة ثالثة أوردها ابن حمدون في "التذكرة"[٨] ونقلها عنه بعض النَّقَلة[٩]، صار بين أيدينا نماذج ثلاثة كاملة تقريبًا لتلك الرِّحل، يمكن أن تُتَّخذ شواهد على ما ضاع، وأمثلة على ما انطوى، مُبينة عمّا لها من غايات، وما حوته من معان وأساليب في الفن، ثم تزداد خصائصها وضوحًا عند الاستئناس بما ورد من نماذج مقتطعة من سائرها، وهي التي بثّها العماد في الخريدة والحظيري (ت٥٦٨هـ) في لُمَح الملح.

لقد تصرّف الرواة في نقل هذه الرِّحل على ضروب: منها الحذف، فقد حذف ابن حمدون (ت ٥٦٢هـ) شعرًا جاء في آخر الرحلة الأولى دون أن يبيّن سبب حذفه إياه. وأرجّح أنه شِعر طويل، ولعل ابن حمدون آثر الاختصار.

ومن التصرف ما عمد إليه العماد حينما أولى عنايته بما يراه جديرًا بالذكر، فأثبت نصوصًا مقتطعة منها، واكتفى من إحداها بالأمثال التي أنشأها الخوارزمي، ولم يزد عليها شيئًا.

ومن التصرّف انتقاء جمل يُراد موضع الشاهد منها، كما فعل الحظيري حين أورد بعض تجنيساته في (لُمح المُلح)، وهي جمل لا يُعرف المراد منها على وجه دقيق؛ لانفكاكها عن السياق الذي وردت فيه.

البحث عن جنس جديد:

لماذا اختار أبو القاسم كلمة (رِحَل) لهذه النصوص النثرية، ولم يسمِّها مقامات أو رسائل[١٠]؟ أكان يرتاد لنفسه وفنّه طريقًا جديدة؟ وهل رجا -بذلك- أن يكون ارتكاب النوع الجديد مدعاة لأن يبدع الجديد؟

إنّ تلك الرِّحَل أقرب إلى أن تكون مقامات، ولكنه لم يسمّها كذلك، و"قد تجد نصًّا لا يسمه صاحبه بوسم المقامة، ولكن ذلك لا يمنعك أن ترى فيه خصائص المقامة"[١١] فالخوارزمي أراد -إذ نكل عن تسميتها مقامات- أن يخرج من عباءة المقامة، وأن يستفزّ قدراته ومواهبه؛ حتى يتجاوز من سبقه؛ فإنّ انسياق المبدع إلى تسمية جديدة -وإن ظلّ في إطار الفن الذي يكتب فيه- يهيّئ له أن يجدّد في مضامينه وتشكيلاته الجمالية. وأقرب مثال أراه مصدِّقًا هذا الحكم فنُّ (الموشّحات) الذي لا يخرج -عند التأمّل وإنعام النظر- عن القصيدة ذات البِنى المأثورة؛ فالوزن والقافية ظاهران مسيطران، وإن تعدّدت أشكالهما. وما تسميته بالموشّح إلا لحفز القرائح على التجديد والابتكار فيما أرى.

إنّ كلمة (الرّحلة) التي ارتضاها الخوارزمي حاضنة لإبداعه تستمدّ عنفوانًا من معناها؛ فهي من (رَحَل الرجل) إذا سار وانتقل من مكانه. والترحيل والإرحال: الإشخاص والإزعاج.

ومن مادة (ر ح ل) تأتي كلمة (الرَّحْل) التي تمتّ بسبب وثيق إلى (الرِّحلة)، فالرحل مركب للبعير والناقة، و(الراحلة) البعير القوي على

الأسفار، وناقة (رَحِيلة) شديدة قوية على السير، أي إنه متصل بالحركة والسفر، وكذلك (الرِّحالة) وهي سرج من جلود ليس فيه خشب، ويقال: رحلتُ له نفسي، إذا صبرت على أذاه. فأغلب ما اشتقّ من هذا الجذر يتضمن معاني السفر والحركة والاغتراب والصبر(١٢).

والخوارزمي -إذ يختار الرحلة وصفًا لكل نصّ من نصوصه- يشير إلى ما في نفسه من شغف بالخروج عن المعهود، والرغبة في الإتيان بالجديد، والصبر على ما يشقّ عليه في سبيل ذلك. بل إنّ في ذلك إشارة إلى كثير مما لقيه من معاصريه، إمّا من حسد أو ازورار عن إبداعه والإشادة به. وقد صبر عليهم وجعل رِحَله مجالاً يفضي من خلاله ببعض ما يعتلج في نفسه. ولا شك في أنّ لفظ (مقامة) لا يحقّق له ما أراد؛ لأنه مشتق من قام، ومن معانيه الثبات، والخوارزمي لا يريد الثبات بل النُّقْلة والحركة والاضطراب في الأرض حسًّا، وفي النفوس وأحوالها معنى.

ولكن: هل نعدّ (الرحلة) في سياقها وصياغتها عنده جنسًا أدبيًّا جديدًا؟ أنعدّها فرعًا عن الرحلة بمفهومها المشهور؟ إنّ الرحلة جنس أدبي يقوم على سرد أسفار واقعية ومشاهدات وانطباعات، أمّا الرحلة الخيالية ففيها سفر إلى أماكن متخيلة وذكْرٌ لمغامرات خارقة(١٣). فإلى أيهما تنتمي (رِحَل) الخوارزمي؟ إننا لا نستطيع تمييز الحقيقة من الخيال في رِحَله! وهما مهمان في نسبة إبداعه إلى جنس محدّد، وما أورده من أماكن لم يتجاوز الحقيقة، وما بثّه من مغامرات لم يخرج عن حدّ المعقول، وهو -كما بدا مما بقي من

هذه الرِّحَل- لا يصف سفرًا واقعيًّا ضربة لازب، ولم يكن همّه سرد الأحداث ووصف الشخصيات قدرَ ما أهمّه إظهار قدرته البيانية. وعلى كل ذلك أرى أنّ هذه (الرِّحَل) فرع من المقامات وليست جنسًا مستقلاً.

الغايات:

إنّ كثيرًا من الكتبَة في زمن أبي القاسم الخوارزمي عمدوا إلى لفت النظر إلى آثارهم الفنية؛ إذ عزّ عليهم أن تبقى حبيسة أوراقهم، أو تظلّ محصورة في مُجالسيهم، وهم يرون الناس مفتونين بما كتبه بعض من حَظُوا بالشهرة. وقد سعى ذوو المواهب والقدرات منهم إلى الامتياز والتفرّد؛ رغبة في أن تنعطف إليهم العيون، وتلهج بآثارهم الألسنة، وهذا عينُ ما فعله الخوارزمي.

فقد كان همّه -كما أسلفت- أن يصوغ فنًّا جديدًا أو هكذا قدّر، ولم يشأ أن يُعَدّ مقلِّدًا سائرًا على نهج رآه الناس وعرفوه قبلُ، فابتكر صيغة (الرِّحَل)، غير أنه ظلّ مشدودًا إلى بعض ما أَلِف الناس، فكان في رِحَله من خصائص المقامات هذا الاكتناز بالغريب، وذلك التفنن البديعي، وتلك الإيماءات إلى بعض خصائص المجتمعات في زمانه، وهذا ما جعلني أنسب إبداعه إلى الفن المقامي.

إنّ بناء الفكرة على رحلة يحمل مغزى مهمًّا، فهو يريد للفكرة أن ترتحل وأن تجد من يأخذ بها في كل مكان، ومن أجل ذلك ضمّنها كثيرًا من غاياته المتعلقة بطبائع النفوس والمجتمع والأخلاق والعلم ونحو ذلك.

ولعله يصدق عليه قول كيليطو: "والتجوال عبر الفضاء والزمان الثقافيين غير منفصل عن السفر عبر الأوضاع الاجتماعية، واختبار التجارب والمواقع التراتبية وأشكال الحياة"(١٤).

ومن أبرز غايات الخوارزمي في هذه الرِّحَل التثقيف اللغوي، الذي يستبينه الناظر من خلال حشد الكلم الغرائب، التي يفسّرها سياقها في الغالب، ثم من خلال تفسيره لبعض الغريب، يقول في حشو إحدى الرِّحل: "والخندفة في الاتِّباع: تقارب خطو في إسراع"(١٥). وقد يُعدّ مجيء الشرح في سياق النص خروجًا عن مقتضى الإبداع، غير أنه يمكن أن نلمس في هذا لونًا من تآزر الفني مع العلمي في سبيل إبداع نص جديد، أو جنس جديد.

ثم إنّ الخوارزمي نزّاعٌ إلى إظهار قدراته الفنية، يشهد لهذا عَمْده إلى التوسع في الوصف، وإن لم يكن الموصوف في حاقّ المسألة التي تعرِض لها الرحلة، مثل وصفه للسفينة: "تزحف على أرض كالزجاج، أو ثوب ديباج...ليس لأرجلها آثار، ولا لخطوها عثار"(١٦)، ووصفه المرأةَ الحسناء: "ذات جمال بارع، وخَلْق رائع، ونور ساطع...بأطراف مخضَّبة، وأصداغ معقربة، وثُدِيٍّ مفلَّكة"(١٧).

ومن إظهار القدرة ابتكار الأمثال، وعلى أنّ المثل في الأصل قول سائر، إلا أنّ ارتجال الأمثال معدود من الكلام الشريف(١٨)؛ وهذا يعني أنّ المثل هو ما يطلقه القائل من قول يمكن تمثّله والاستعانة به في فنون الكلام.

وأكبر ما أهمّ الخوارزمي وسيطر على منازعه هو إظهار العلم، متشكِّيًا -وإن لم يصرِّح- أن لم يقدُره أهلُ زمانه قدرَه، ومراجعته ذلك المتعالم -في الرحلة الأولى- الذي أخطأ في نَسَب رجل، تدلّ على هذا[١٩]، ثم أخذُه في السؤال عن (خندف): هل"هو اسم موضوع أو لقب مصنوع؟" و"ما معناه وسببه؟ وكيف كان موجبه؟"[٢٠]، وتبدو هذه الغاية أكثر ما تبدو في عرضه مسائل في النحو والأنساب[٢١].

ثم تبلغ به النزعة الذاتية إلى إظهار المعرفة أن يقول: "هذا بديع عجيب! أنا أسأل وأنا أجيب؟"[٢٢] ويقول مُدِلاًّ بنفسه على لسان مخاطَبيه: "وقديمًا كنّا ننشر أعلاقك، ونتمنى اتفاقك، ونتداول أوصافك"[٢٣].

لقد بنى الخوارزمي رحله الباقية على التسامي بالقدرة، والأولى منها كانت أشبه بمناظرة تحققت له فيها الغلبة[٢٤]، وتحقق له من خلالها أن يظهر معرفته بعلوم زمانه.

واعتماد الجدل والنقاش العلمي في سياق النثر الفني ظاهر من قبلُ في بضع رسائل في صدر الإسلام والعصر الأموي[٢٥]. فهو من هذا الباب يطرق دربًا طرقه السالكون من قبل.

والفنّ عند الخوارزمي باب للإصلاح، فهو إذ يتّجه بكلامه إلى "كل لبيب، متيقظ أريب" إنما يطلب منه أن "يعاشر الناس بأصدق المناصحة، وجميل المسامحة، وألا يحمله الإعجاب بما يحسنه، على الازدراء[٢٦] بمن

يستقرنه"[٢٧]، ويُسِرّ النصيحة من خلال ما ينعت به نفسه: "وجذبوني إلى صدر المجلس فأبيت، ولزمتُ دُناباه فاحتبيت"[٢٨].

ويحثّ على الجدِّ في لقاء العلماء وذوي الفضل، وهذا ظاهر من اتخاذه لقاء العلماء سببًا لتجشّم مشاق الرحلة.

ومن وجوه التثقيف في رِحَله حشد أسماء الأعلام التي يومئ من خلالها إلى ثقافته ومعرفته أولاً، ويجعلها ثانيًا بابًا لبثِّ المعرفة بهم، يقول شعرًا[٢٩]:

ذاك الذي لو عاش قُسٌّ إلى زمانِه ذا وابنُ صوحانِ
وابنُ دريدٍ وأبو حاتمٍ وسيبويهِ وابنُ سعدانِ
قالوا فخارًا كلُّهم: إنه سيدنا إذ قال غلمانِي

وفي رحلة أخرى حشد أربعة عشر علَمًا -وربما أكثر- إذ قال على لسان أحدهم: "فإن شئتَ القرآن فأنا أبو عمرو، أو الورَعَ فأنا أبو ذر، أو الفقهَ فشافعيّه، أو ارتجالَ الخطب فصعصعيّه..."[٣٠]. وفي كثرة استدعاء أسماء الأعلام -مع الاقتباس والتضمين- محاولة لإرضاء الذوق الفني الجماعي الغالب آنذاك.

وذهب في مقام آخر يعدّد بعض أسماء الكتب التي يراها أوعية وأبوابًا للثقافة في عصره[٣١]، وبها يستبين علم الرجل ومعرفته، كـ"**كتاب**" سيبويه و"**أدب الكتّاب**" و"**معاني الزجّاج**" وغيرها[٣٢]. وبعضها مما اضطرّته إليه السجعة، ولكنه على كل حال يومئ إلى طبيعة ما يتطلّبه عدّ المرء عالِمًا في ذلك الزمان، كديوان العجّاج وديوان الطرمّاح.

ويُلمَح من خلال رحلته الأولى الشكوى من أهل بلده، وكأنما لم يطب له المقام بينهم، يقول: "كيف لربيب بطائح وسباخ، وساكن صرائف وأكواخ، بين سوادية أنباط، وعلوج أشراط، ورعاع أخلاط، وسِفَل سُقّاط، في بلدة إن جاوزتُ سورها، وعبرت جسورها، صحت واغربتاه! وإن رأيت وجهًا غريبًا ناديتُ واأبتاه، لا أعرف غير النبطية كلامًا، ولا ألقى سوى والدي إمامًا، في معشر ما عرفوا الترحال، ولا ركبوا السروج والرِّحال، ولا فارقوا الجدار والظِّلال والأطلال"[٣٣].

والشكوى تجمع التشكي من غياب أهل العلم والفضل، والحسرة على قلّة العناية بالعربية وآدابها. وهو ما يضع اليد على فائدة تاريخية، إذ يمكن أن نؤرّخ لبداية ضعف العربية في بلاد فارس وما حولها، وعودة اللغة الفارسية إلى سابق انتشارها بمثل نصّ الخوارزمي.

وفي الرحلة المكية عمد إلى ذمّ وفود الحجاج، فلم يمدح إلا وفد العراق، فهل كان ناقمًا على الناس؟ وهل لثنائه على نفسه وإظهاره قدراته اللغوية والنحوية وغيرها علاقة بهذا؟ إنّ استثمار القدرة على النظم، والرغبة في رياضة اللسان على القول مع ما في نفسه من النقمة على الزمان وأهله هي التي جعلت الخوارزمي يقول ذلك، فهو يستجمع قدراته الفنية؛ ليورد شعرًا يكتنز بمعان عزّ عليه أن يدعها حائرة بلا نص يكفل لها البقاء والسيرورة[٣٤].

القيم الفنية:

في هذه الرحل ظهر أثر المقامات، ابتداء من تسمية كل رحلة، فقد سمّى

الخوارزمي إحدى رِحَله -كما نقل العماد- (المكية)[٣٥]، ولعله سار على هذا النهج في سائرها؛ وارتباط المكان بالرحلة أدعى من ارتباطه بالمقامات، التي سار كثير من كَتَبَتها بدءًا من البديع على تسميتها باسم المكان الذي ارتبطت به[٣٦].

وهو يورد في أثناء النثر شعرًا، يتمثّله حينًا[٣٧]، وينشئه حينًا[٣٨]، على أنّ بعض ما أورده في إحدى رِحَله جنى عليه اجتهاد ابن حمدون، إذ قال في نهاية الرحلة: "وبعد ذلك شِعر ألغيت ذكره"[٣٩]. وامتزاج المنثور بالمنظوم سُنّة الكتاب، وهي "ظاهرة عامة من ظواهر التاريخ الأدبي"[٤٠] وليس لأبي القاسم فضيلة الابتكار، ولكن له حسن الاختيار، وهذا المزج ضرب من البيان المفصّل؛ لأنه فصّل فيه المنثور بالمنظوم[٤١]. وصنيعه هذا جارٍ أيضًا على سنة المقاميين "إذ لا نكاد نقرأ مقامة...على اختلاف عصورها، إلا رأينا الشعر يضرب بنصيب فيها"[٤٢]، وكلّ أدباء العرب قديمًا وحديثًا لا يُخْلون نثرهم من الشعر؛ لأنهم يرون في الشعر تأثيرًا سحريًّا، وإقناعًا وتثبيتًا للرأي والحكم. وفيه كذلك إدلال بإجادة الصناعتين.

ويظهر لي أيضًا أنّ سيطرة التلذذ بالشعر والنظر إليه بوصفه الفن الأول المقدَّم، هو الذي يجعل الكتبة يحلّون به منثورهم. كما أنّ بثّ الشعر في أثناء النثر إراحة للعين القارئة، وإمتاع للأذن السامعة.

ويمكن أن يكون وصف بديع الزمان في إحدى مقاماته البليغَ بأنه "من لم يقصِّر نظمه عن نثره، ولم يُزرِ كلامه بشعره"[٤٣] هو المنطلق الذي ساق

كلّ من جاء بعد البديع لمزج الشِّعر بالنثر، وإظهار البراعة في الفنين؛ طمعًا في الحصول على البلاغة، فقد أسّس البديع وخصومه -كما يرى نادر كاظم- نمطًا جديدًا من جمالية الكتابة، يقوم على إجادة فنون القول، والبراعة في شِقَّي البلاغة[٤٤].

بل إنّ تلقِّي مدوّني الأدب ومختاري نماذجه في القرن الرابع وما بعده لنسيج المقامات اللغوي، واحتفاءَهم بما فيها من براعة لفظية، مثل وصف الثعالبي لمقامات البديع بأنها: "ذات سجع رشيق المطلع والمقطع...وجدٍّ يروق، وهزل يشوق"[٤٥] إنّ هذا التلقِّي المُعظِم لشأن التبارُع اللفظي، والتنقل بين الجِدّ والهزل، ألقى في أرواع المنشئين أن يسيروا على المنوال نفسه. وهذا بادٍ لمن يطالع رِحَل الخوارزمي.

ويبدو في الرحلة المكية ملمح آخر يتعلق بامتزاج الشعر بالنثر، هو أنه حمّل النثر وظيفة هي في التلقّي المعتاد من وظائف الشعر، أعني الهجاء[٤٦]، فكان أن (هجا) وفود الحاجّ نثرًا، ثم أردف كلّ مقطع نثري بمقطع شعري، ليؤكّد توجهه لهذا الغرض، وليجعل من الرحلة (التي هي نصّ مقامي المظهر) معرِضًا لأجناس متداخلة.

ويلفت النظر فيما أنشأ الخوارزمي من شِعر وما اختار تنقلُه بين بحور شتى، وأراه عمد إلى هذا عمدًا؛ كي يعطي المترنِّم أنغامًا متعددة، ثم إنه من وجه آخر يُظهر قدرته على النظم وبراعته فيه.

والشِّعر الوارد في الرِّحَل يشي بمقدرة الخوارزمي وقوة قريحته -وإن كانت قوة نسبية- فقد تنقّل فيه ما بين فخر وغزل وهجاء ووصف وحكمة وشكوى[٤٧]. ووفّق إلى معان لطيفة دلّت على فكر دقيق، كقوله:

عيناه كالرئم إذا ما رنت بيضاء كالشمس دنت للشروقْ
وهي كقبض الروح قربًا فإن حاولتها فهي كبيض الأَنُوقْ[٤٨]

وقوله في وصف مخدّة وذمها:

تُخَدِّد الخدَّ الذي فوقها فهو عليها وهو فوق التراب[٤٩]

ومنزلة أغلب هذا الشِّعر من الرِّحَل غير واضحة، ومناسبته للفكَر غامضة؛ لأنّ العماد اكتفى برواية الشعر دون إيراد السياق الذي وردت فيه؛ وعليه يكون الحكم على القيمة الفنية لهذا الشعر موقوفًا على خروجه من سياقه، وعدّ ما جاء منه نصوصًا قائمة بنفسها.

واستثمر الخوارزمي *طاقات اللغة*، ونقّح رِحَله راميًا إلى أن تكون مستودعًا لجمالياتها، وهو ينظر من خلال هذا إلى صنيع الحريري في مقاماته، وكان يعمد إلى الفصيح السهل، ولكنه آثر الجنوح إلى الغريب؛ حتى لا يُخْلِي رحله من سمة الخصوصية، يقول مثلاً: "فنعرف منكما السابق والسُّكَّيْت، والسُّوْذانِق والكُعَيْت"[٥٠] و"أين...الكوْدَن المبروض، من الْمُجرَّب الْمَرُوض؟"[٥١]، و"طويلاً عنَطْنط، يحكي ذئبًا أمعط"[٥٢]، وهو يعمد إلى بثِّ هذا الغريب، مفيدًا من المترادف كقوله: "وكثُر منا

التخَوُّق عنه والرسيم، وألهب تموز، وقدح النارَ الأمعوز، وأخذ الغثْم بالكظَم، فغادرنا لحمًا على وضم"[٥٣].

ومن استثماره طاقات اللغة أن عمد إلى اشتقاقات غير معهودة "وحسَّنتْ وبخبختْ"[٥٤]، و"مَصادِف"[٥٥]. ولا أستبعد حُفول سائر الرِّحل بأمثال هذه الألفاظ، فإنّ الضائع منها أضعاف ما استطعتُ جمعه في الكتاب المشار إليه أعلاه.

ولم يغادر الخوارزمي فنون زمانه التي أولع بها الأدباء، فبنى رِحَله على السجع، مؤثرًا منه ما يُستَدلّ به على الإتقان، جاعلاً السجع في فاصلتين: "فازت قِداحُك، وبانت غُررك وأوضاحك"[٥٦] أو أكثر: "فأخذه الإبلاس، وضاقت به الأنفاس، وسكنت منه الحواس، ورفضه الناس"[٥٧]. وللسجع هنا وظيفة إضفاء القيمة والشرف على الخطاب، وبفضله يرقى هذا الفنّ إلى مستوى الشعر[٥٨]؛ لأنه بهذا "يتجنّب التشتّت بوسائل شبيهة بوسائل الشعر، ومن المعروف أنه ابتداء من القرن الرابع كان السعي لتقريب الشُّقّة بين النثر والشعر: صار الشكلان يعالجان نفس الأغراض، ويستجيران بنفس المحسّنات"[٥٩].

ويُظهر افتنانَه بالألفاظ واقتداره على تشكيلها تشكيلاً يلائم أذواق أهل زمانه، يقول: "فصرنا إلى نغَم ونعَم، وخيل وخوَل، وغوانٍ وأغان"[٦٠]، ويقول أيضًا: "فقلت له: خذ طريقك، فلن يخالط ريقك"[٦١]. وتتناثر ألفاظ أخرى يسلك فيها هذا المسلك مثل: الإغضاء والأعضاء، وقِراي

وقَراي، والشَّفة والسَّفه، والبِشْر والنَّشْر[٦٢]. وكلّ ذلك ضربٌ من شعرية التعبير، وميل بالنثر إلى حيّز الشِّعر؛ ثقة بتقبّل الأذواق له، ورغبة في استثمار الإيقاع لإضفاء مزيد من الخروج عن المعهود.

ويبدو أنّ للخوارزمي مقدرة على تجنّب ما يقع فيه ضَعَفَة الكَتَبَة من إيقاع اللفظة في غير موقعها[٦٣]، فهو ينتقي، ويحذر أن يسيء لفظُه إلى معناه، موقنًا أنّ تكلّف السجع لا يقدح في النثر[٦٤]، بل يرى أن من رواء التعبير وطرافته أن يلزم فيه ما لا يلزم، حتى كاد جلّ سجعه يكون كذلك: "أقبلت أفواج الْحُجّاج من الفجاج، وقدمت وفود الرفاق من الآفاق"[٦٥]، "فإني ابن بجدتهْ، وعالم ما تحت جلدته"[٦٦]، "المصريّ إذا حدّث قحَف، وإذا سأل ألحف، وإذا أخذ أجحف"[٦٧]، "فلمّا استمرّ بنا السير واستدَرّ، واشتد الوقت حرًّا واسمَدَرّ"[٦٨]، وهذا عند بعض النقاد من فرط الصناعة والتشدّق فيها[٦٩].غير أني أرى هذا الافتنان في لزوم ما لا يلزم ضربًا من رياضة اللسان على القول، وإظهارًا لما في اللغة من طاقات لفظية، ثم هو إيماء إلى الكتبة بأن يفيدوا مما تختزن اللغة، أي إنه نوع من التعليم والتثقيف ولكن في سياق الإبداع والتجلّي الفني، وضربٌ من التسامي باللغة على واقع لغوي غير مرْضيّ، ويؤكد هذا وصفُه لأهل زمانه بأنهم "سَواديّة أنباط، وعُلوج أشراط"[٧٠]، وأنه "بين أغتام فِجاج، وزنوج أفواج...هَمَل مُسبَعون، وأغفال ضائعون"[٧١]، وهذا التسامي باللغة -فيما أرى- و الذي دعا بديع الزمان والحريري وأضرابهما إلى

سلوك هذا المسلك الفني الذي حقق لهم ارتواء نفسيًّا، وحفظ للغة النثر الفني بهاءها، وأسعف المتلقّين في زمانهم ومَن بعدهم في التعرف إلى ما تختزنه اللغة من ذخائر لفظية.

ثم إنّ لزوم ما لا يلزم مظهر من مظاهر الاغتراب عند الكاتب، فقد اغترب بعلمه وثقافته، فأراد أن يغترب أيضًا بنمط إنشائه.

وعليه فقول كارل بروكلمان (C.Brockelmann) (ت١٩٥٦م) عن **مقامات الحريري** -و**رِحَل الخوارزمي** منتمية إلى الأعراف الفنية للمقامات- "هذه المقامات... شيء يبهر العيون، ويسحر العقول لحظة كالألعاب النارية الجميلة، غير أنها عقيمة[٧٢] عديمة الجدوى، كتلك الألعاب النارية"[٧٣] هو قول ليس في مكانه، ويتّضح منه أنه لم يستوعب سياق هذا الفن تاريخيًّا، ولعل تلقّيه لهذا الفن هو من النمط الذي يعشي صاحبه عن الرؤية السليمة، فيجعله يرى غير ما هو على أصله في رأي العين[٧٤].

ثم إنّ الخوارزمي افتنّ في بناء جمله، مؤكّدًا المعنى بجمل متشابهة وألفاظ مترادفة؛ إظهارًا للقدرة: "متيقّنًا أنّ أسده صار جُردًا، وأنّ بازيَه صار صُرَدًا، ودُرَّه انقلبتْ مخشلبًا، وزيتونه تحوّل عِرْبًا، وقناه تغيّر قصبًا"[٧٥]، وهو ضرب من الترسّل، وإن لم يدع السجع. وتمديد الكلام بالترادف ونحوه هو -في رؤية بعض نقاد عصر الخوارزمي- داخل في البلاغة، حين يكون المتكلم في موقف يكثر فيه اللغط والضجيج، فيحتاج إلى إشباع المعنى وتوكيده وتكريره[٧٦]، ويبدو أنّ هذا موافق كلّ الموافقة لحال

الخوارزمي ؛ فإنّ رحلته الأولى التي كثر فيها هذا الأسلوب تضمنت مناظرة كثُر فيها اللغط والضجيج.

والغالب على جمله القِصَر، الذي يوفّر موازنات صوتية تقوِّي الإيقاع[٧٧]، مثل: "فأسرعت الوثبة، وصوَّبت الحربة، فإذا أنا بذئاب فاغرة، وكلاب داغرة"[٧٨]. والازدواج ظاهر كذلك، مثل قوله: "فإن شئت القرآن فأنا أبوعمرو، أو الورع فأنا أبو ذر..."[٧٩]، وهو "خاصية جوهرية في النثر العربي القديم، لا غنى له عنها مطلقا، وهي الميزة الغالبة على الأساليب الرفيعة"[٨٠].

ومن الافتنان في الإفادة من ذخائر اللغة توظيف المثل، والتوسع في ضرب الأمثال مما تفردت به العرب بين الأمم[٨١]، ولهذا آثر الخوارزمي أن يرسل الأمثال، كقوله: "أطوع من شامي، وأصنع من رومي، وآكَلُ من خوارزمي"[٨٢]، ومثل هذا لا يُعَدّ إبداعًا في صياغة المثل ؛ لأنه مَقِيس على مثال سابق، وما أهون أن يقول القائل (أفعل من كذا)! غير أنّ هذه البنية تعبير اصطلاحي يحمل -على ثباته- قدرة إيحائية ؛ إذ يجعل المتلقّي يعيش في سياقه التاريخي والبيئي، وهذا يعين لغة الأدب على أداء وظيفتها المعرفية والإمتاعية[٨٣]، واختيار المفضَّل عليه في السياق مفيدٌ في فهم تداعيات التفكير عند الأديب، وموقفه من بعض قضايا عصره، أو أهل زمانه، وحسبي تلك الجملة "آكل من خوارزمي" ففيها إشارة ليست خفيّة

إلى سخطه على أهل بلده، وبَرَمِه بهم، وهذا مؤيَّد بما صرّح به في بعض الرِّحَل كما سبق.

إنّ للخوارزمي مقدرة على تشكيل صيغة المثل المبدوء بـ (أفعَل)، فقد عمد إلى جملة أمثال جعل (المفضَّل عليه) فيها غير ما تعارف عليه الناس: "أسعى من دولاب، وأعرى من أصطرلاب، وأرذل من شعّاب"[٨٤]، ولكنه أخفق من ناحية أخرى إذ جعل همّه منصرفًا إلى إكمال السجع، من غير احتياط من الإساءة للمعنى، مثلما فعل حين اختار أن يقول: "أذلّ من حمّال"[٨٥] فقد أراد أن يتمّ به السجعة، وإلا فإنّ في أمثال العرب مما يبدأ بـ (أذلّ من...) ما كان كافيًا وافيًا بمراده[٨٦].

والمهم في هذا السياق أنه كسائر الكتاب المترسلين يطمح إلى أن تكون رِحَله مصدرًا تُستقى منه العبارات البليغة التي تجري مجرى الأقوال المأثورة[٨٧]. ولهذا يرى قارئ رحله أنّ المثل فاشٍ فُشُوًّا كبيرًا، حتى إنّ العماد أورد ستة عشر مثلاً تضمّنتها رحلة واحدة[٨٨].

واجتراح الأمثال بعامة ناتج عن (قلق التأثير) الذي يظهر عند الكتّاب الأقوياء[٨٩]، فالخوارزمي يريد أن يقول ما لم يُقَل، وينأى بنفسه عن أن يكون نسخة مكرّرة عن غيره؛ ولهذا عمد إلى سدّ الطريق تجاه المؤثرات بأن حشا رِحَله بتلك الأمثال؛ حتى يضمن لأدبه أن يخرج عن المألوف؛ لأنّ للمثل صبغة جماعية، وأكثر الأمثال لا يُدرى قائلها ولا زمانه، وهذا يعني أنّ ابتكار المثل يشير إلى الرغبة في أن يكون أدبه شعبيًّا ذائعًا،

ويشي برغبته في تنكّب طرق القول المعهودة. إضافة إلى أنّ المثل مطلقًا يؤتى به للتعبير عمّا يختلج في نفس القائل، وقياس درجة همّته ومقدار وعيه وثقافته[٩٠].

ويوظّف الخوارزمي المفارقة في الرِّحَل، وبخاصة في الرحلة المكية، التي جاء فيها قوله عن بعض الْحُجّاج:

تــراه يعبــدُ الــدينارَ حبًّــا له كعبادةِ الإنسانِ ربَّهْ[٩١]

ومثل:

لــو ســائلٌ جــاءهمُ قائــلاً وقد علا من نفسه الكربُ:

بربِّكـــــم إلا تـــصدقتمُ قالوا له: ليس لنا ربٌّ[٩٢]

فهذه مفارقة كبيرة بين حال (الحجاج) الذين قصدوا البيت العتيق، وبين ما أنطقهم الخوارزمي به، فهم -أو هكذا ينبغي- متجردون لله، معرضون عن الدنيا، ولكنه يُنطقهم بـ: (ليس لنا ربّ) وهي مفارقة تنطوي على نقد مظهر اجتماعي فاش، لا يكاد يخلو منه زمان.

ومن المفارقة في هذه الرحل ما يجده القارئ في الرحلة الأولى، إذ كان الجمهور الذي تحمّس للمناظرة بين الخوارزمي والهيتي يسرف في الثناء على الهيتي الغائب، ولكنه حين فلج عليه الخوارزمي انقلبوا عليه فأسرفوا في ذمّه. وهنا ينبغي أن أقف وقفة تساؤل: هل لاندفاع الخوارزمي إلى ذمّ كثير من أهل زمانه علاقة بما أثبته في رحلته من تناقض الجمهور؟ إنّ المتلقّين في رحلته الأولى أشبه بالغوغاء منهم بأهل العلم والأدب؟ وهو كثير التشكّي

من عَيْشه بين من لا يعرفون قدره كما سلف. فمن كان المتلقّي المفترَض لرِحَله؟ أهم أولئك المتناقضون؟ أم هم طبقة الأدباء والعلماء؟ إنّ افتراض مخاطبته لمن هم في طبقته أدبًا وعلمًا هو الأقرب؛ لأنّ التشكّي من قلة الفهم لا يُساق إلا إلى ذوي الفهم، والشكوى من ذهاب العلم لا يكون إلا لمن يتمسّكون بطلبه.

في بنية الرِّحَل:

يُستدلّ بالباقي من رِحَل الخوارزمي على أنه كان يشرع في ذكر سبب الحاجة إلى الرحلة: "نضبت من بلادنا المياه...واحتبس القطر...وغلت الأسعار...فخرج بي أبي ينتجع ذا كرم يأوي إلى مغانيه"[٩٣]، "خرج بي أبي... فطلب كريمًا يستجديه"[٩٤]، "حفزني الاضطرار...لأمر يجمع غرضين"[٩٥].

وفي إحداها بدأ ناصحًا مظهرًا ما يودّ إيراده من وعظ للعالم من الوقوع في السقطات[٩٦]، فخرج فيها عن الابتداء المتوقّع في نص يحمل اسم (الرحلة)، وإن كان قد جعل هذه المقدمة أشبه بقانون يحتكم إليه.

وفي متن الرحلة يأتي السرد الذي يختلف طولاً وقصَرًا -وسوف أفصّل القول فيه لاحقًا-، ثم تأتي الخاتمة في الغالب مشيرة إلى الافتراق، كقوله: "ثم ولّوْا وولّيت، وخلّونا وتخلّيت، وشالت بي النعامة، لما صحبت السلامة"[٩٧]. ونمط الخاتمة هذا جاء في المقامات، عند البديع والحريري[٩٨].

وهو في بعض رِحَله يؤثر أن يجعل الخاتمة أبياتًا أو بيتًا يكون (قفلة) للنص أشبه بالمقطع في القصيدة، فقد فعَل هذا في الرحلة الأولى، ولكنّ ابن حمدون ألغى ذِكر الأبيات كما أشرتُ سلفًا، وفعله أيضًا في الرحلتين الرابعة والتاسعة[٩٩]. وهذا النمط هو الذي سار عليه المقاميون في جُلّ مقاماتهم بدءًا من البديع.

وفي هذه الرِّحَل تكاد تكون ثنائية التضاد هي البنية الكبرى التي قامت عليها، وأكبر مظاهرها ثنائية الرحلة والإقامة، الرحلة المحمودة تقابلها الإقامة المذمومة، وفي ثنايا الرِّحَل نجد العلم والجهل، والقبح والحسن، وذلاقة اللسان والعي، والإيمان والفسق.

وانبنت على ذلك التضاد ظاهرة الاغتراب بدءًا من العنوان الجامع (الرِّحَل) فجاء الاغتراب النفسي (ذمّ أهل خوارزم)، والاغتراب العقلي (التميز العلمي)، كما أنّ ذمَّه للحُجّاج دليل على غربته بين قوم تخالف أفعالهم مقاصد الحج، ومن مظاهر الاغتراب ما ألزم به نفسه في السجع اللازم فيه ما لا يلزم.

ويأتي الشِّعر في تضاعيف الرحلة مؤتلفًا أحيانًا في السياق، أي إنّ الخوارزمي لا يقف ليقول (كما قيل، أو وقد قال الشاعر) بل يدرج الشِّعر بعد النثر مباشرة[١٠٠]، وسواء في ذلك أن يكون الشِّعر متمثَّلاً[١٠١]، أو من إنشائه. وأحيانًا يجعل مِهاده جملة مثل "وأنشد متمثِّلاً"، "فقال منشدهم"، "وغنّت"[١٠٢].

ويبدو أنّ الخوارزمي لم يسر على منهج في إيراد الشعر في حشو الرِّحَل، فهو يدرج شِعره وشِعر غيره إدراجًا واحدًا في الأغلب، والشائع عند كثير من المترسلين من الكتّاب التفريق بينهما[١٠٣].

إنّ الشِّعر يكمل وظيفة النثر، وصلة النثر بالشعر هنا صلة تداخل بين النصوص، وهو تداخل يسعى فيه النثر إلى أن يحتضن الشعر، ويستعمله جنسًا فرعيًّا وظيفته الاستشهاد والتمثّل[١٠٤] إن كان من إنشاء غيره، فإن كان من إنشاء الكاتب نفسه فالصلة حينئذ تصبح تداخلاً بين الأجناس، التي يكون كل منها مُعينًا على التعبير عن الغرض العامّ[١٠٥].

(للبحث صلة)

الهوامش:

❖ أستاذ الأدب والنقد في كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

(١) نسبة إلى راقُطا، وهي إحدى بلاد البطائح بين واسط والبصرة. ينظر: **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ١٣٦/٢، ولم أجد ذكرًا لهذه البلدة في **معجم البلدان**.

(٢) ينظر: السابق، ١٣٦/٢.

(٣) ينظر: **تكملة خريدة القصر**، العماد الأصفهاني، تحقيق: محمد بهجت الأثري، المجمع العلمي العراقي، بغداد، د. ط، ١٩٨١م، ٧٨٦.

(٤) ينظر: السابق، ص٧٨٦.

(٥) ينظر: إنباه الرواة ١٣٦/٢.

(٦) ينظر: **معجم الأدباء**، ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ١٥٥٢/٤.

(٧) ينظر: **تكملة خريدة القصر** ص ٧٨٧.

(٨) ينظر: **التذكرة الحمدونية**، ابن حمدون، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ط الأولى ١٩٩٦م، ٦/٤٠١-٤١١.

(٩) ينظر: **صبح الأعشى**، القلقشندي، مصورة عن الطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٢٠م، ١٤/١٢٨-١٣٨.

(١٠) من الطريف المؤلم في الوقت نفسه أنّ هذه التسمية جعلت المفهرس في مكتبة الملك فهد الوطنية يجعل الكتاب ضمن الرحلات والرحالة العرب!! وهو خطأ غاب عني وعن المسؤول في مركز حمد الجاسر الثقافي، والعتب عليّ بلا شك أكبر.

(١١) **الأدب والغرابة**، عبدالفتاح كيليطو، دار الطليعة، بيروت، ط الثالثة، ١٩٩٧م، ص٢٢.

(١٢) ينظر: **اللسان** (رحل).

(١٣) يُراجع: **المعجم الأدبي**، جبور عبدالنور، دار العلم للملايين، بيروت، ط الثانية، ١٩٨٤م، ص١٢١-١٢٢، و**معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط الثانية، ١٩٨٤م، ص١٧٦.

(١٤) **المقامات، السرد والأنساق الثقافية**، عبدالفتاح كيليطو، ترجمة: عبدالكبير الشرقاوي، دار توبقال، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م، ص١٩.

(١٥) **التذكرة الحمدونية**، ٦/٤٠٨.

(١٦) **ما بقي من كتاب الرحل**، الخوارزمي، جمع نصوصه وعلّق عليه: عبدالله بن سليم الرشيد، مركز حمد الجاسر الثقافي، الرياض، ط الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ٧٧-٧٨.

(١٧) السابق، ص٦٩.

(١٨) ينظر: **إحكام صنعة الكلام**، الكلاعي، تحقيق: محمد رضوان الداية، عالم الكتب، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص١٧٩-١٨٠.

(١٩) ينظر: **ما بقي من كتاب الرحل**، ص٣٢. وهذا الذي ناظره الخوارزمي يُدعى (الهيتيّ).

(٢٠) ينظر: السابق، ص٣٦.

(٢١) ينظر: السابق، ص٣٢، ٣٥، ٤٠.

(٢٢) السابق، ص٣٧.

(٢٣) السابق، ص٢٣.

(٢٤) ينظر: **ما بقي من كتاب الرحل**، ص١٧-٤٨.

(٢٥) ينظر: **نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي**، حسين نصار، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٦م، ص١١٢ وما بعدها.

(٢٦) لعلها: الإزراء. (٢٧) **ما بقي من كتاب الرحل**، ص ١٧. (٢٨) السابق، ص٢٠.

(٢٩) السابق، ص٢١-٢٢، ويبدو لي أنّ (إذ) محرّفة عن (إن).

(٣٠) السابق، ص٦٨. (٣١) السابق، ص ٣٠-٣١.

(٣٢) من بينها (شروح الإيضاح)، وقد نبّهني الأستاذ مهند الفالح -وهو من القرّاء المثاليين- إلى إشكال مهم، وهو أنّ الخطيب القزويني توفي عام ٧٣٩هـ -وقد أشرت إليه في **(ما بقي من كتاب الرحل)** على أنه هو المقصود- فكيف يشير إلى كتابه من توفي قبله بقرنين أو أكثر؟ وهذه فطنة عجبتُ كيف حُرِمتُها! ولله في ذلك حكمة، فما أضعف الإنسان وأقلّ علمه! إنّ الخوارزمي بلا شك يشير إلى كتاب آخر، لعله **(الإيضاح العضدي)** في النحو لأبي علي الفارسي (ت٣٧٧هـ)؛ لما نُقل من أنّ كتاب **الإيضاح** هذا قد لقي عناية جمهرة من النحاة شرحًا له وتبيانًا لمسائله. ينظر: **كشف الظنون**، حاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت، (مصورة) ١٤١٣هـ، ٢١٢/١، وكتاب **المقتصد في شرح الإيضاح**، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق: كاظم بحر المرجان، وزارة الثقافة والإعلام، ودار الرشيد، بغداد، د.ط، ١٩٨٢م، مقدمة المحقق، ص٣٤-٣٥.

(٣٣) **ما بقي من كتاب الرحل**، ص٢٥-٢٦. (٣٤) ينظر: السابق، ص٥٨.

(٣٥) ينظر: **تكملة خريدة القصر**، ص٧٨٧.

(٣٦) يراجع: **المقامات المشرقية**، خالد الجديع، نشر المؤلف، الرياض، ط الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص٤٥٢.

(٣٧) ينظر: **ما بقي من كتاب الرِّحَل**، ص٤٦، ٦٦، ٧٨.

(٣٨) ينظر: السابق، ص٩٣-٩٩. (٣٩) **التذكرة الحمدونية**، ٤١١/٦.

(٤٠) **الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم**، مشروع قراءة شعرية، صالح ابن رمضان، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م، ص٣٢٦.

(٤١) ينظر: **إحكام صنعة الكلام**، ص١٤٨. (٤٢) **المقامات المشرقية**، ص٤٢٥.

(٤٣) شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني، محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، ص٨٧.

(٤٤) ينظر: **المقامات والتلقي**، نادر كاظم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، ص٧٩.

(٤٥) **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، الثعالبي، تح: محمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة الحسين التجارية، القاهرة، ط١، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م، ٤/٢٥٧.

(٤٦) والجاحظ سابق إلى نقل الهجاء إلى النثر في (**رسالة التربيع والتدوير**). ينظر: أجناسنا الأدبية بين الثبات والتحول (ملف قوافل)، م٥، ع٩، ص١٠٢.

(٤٧) ينظر: ما بقي من كتاب الرِّحَل، ص٩٣-٩٩.

(٤٨) السابق، ص٩٣.

(٤٩) السابق، ص٩٩.

(٥٠) ما بقي من كتاب **الرحل**، ص٢٣-٢٤. والسُّكَّيْت: آخر ما يجيء من الخيل في الحلبة من العشرة المعدودات، والسُّوذانِق: الصقر، والكُعَيت: البلبل. **ديوان الأدب** ١/٣٣٨، و**اللسان** (سذق، كعت).

(٥١) **ما بقي من كتاب الرحل**، ص٢٥. والكودن: البرذون، والمبروض: الذي ذهبت قوته. اللسان (كدن، برض).

(٥٢) **ما بقي من كتاب الرحل**، ص٢٩. وعنطنط: طويل، أكّد الصفة بمثلها، وأمعط: ليس عليه شِعر. **ديوان الأدب** ٢/٨٦، واللسان (معط).

(٥٣) **ما بقي من كتاب الرحل**، ص ٨٥.

(٥٤) السابق، ص٤٥. وبخبخت: قالت: بخٍ بخ.

(٥٥) السابق، ص١٧.

(٥٦) السابق، ص٤٣.

(٥٧) السابق، ص٤٦.

(٥٨) ينظر: **المقامات**، السرد والأنساق الثقافية، ص٧٦.

(٥٩) **الأدب والغرابة**، ص٢٣.

(٦٠) **ما بقي من كتاب الرحل**، ص٨٨.

(٦١) السابق، نفسه.

(٦٢) ينظر: السابق، ص٨٨-٨٩.

(٦٣) يراجع: **إحكام صنعة الكلام**، ص٢٢٨.

(٦٤) ينظر: السابق، نفسه.

(٦٥) **ما بقي من كتاب الرحل**، ص٥٧.

(٦٦) السابق، ص٤١.

(٦٧) السابق، ص٥٨.

(٦٨) السابق، ص٧٥.

(٦٩) **إحكام صنعة الكلام**، ص٢٣٤.

(٧٠) **ما بقي من كتاب الرحل**، ص٢٥. وسوادية: منسوبون إلى سواد العراق، وعلوج: جمع علج وهو الكافر من العجم، وهو يريد بهم الغلاظ الشداد، والأشراط: الأنذال. **اللسان** (علج، شرط).

(٧١) **ما بقي من كتاب الرِّحَل**، ص٨٠-٨١. والأغتام جمع أغتم وهو من لا يفصح شيئًا، وفجاج: جمع فِجّ، وهو ما لم ينضج، ومسبعون: أدعياء، وأغفال: لا حسب لهم. **اللسان** (غتم، فجج، سبع، غفل).

(٧٢) في الأصل (هقيمة) بالهاء، وهو تطبيع بلا شك.

(٧٣) **تاريخ الأدب العربي**، بروكلمان (c.brockelmann)، **تاريخ الأدب العربي**، أشرف على الترجمة العربية: محمود فهمي حجازي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، ١٩٩٣م، القسم الثالث، ٥-٦/١٤٦.

(٧٤) ينظر: **المقامات والتلقّي**، ص١٩١.

(٧٥) **ما بقي من كتاب الرحل**، ص٤٥-٤٦.

(٧٦) ينظر: **قانون البلاغة في نقد النثر والشعر**، محمد بن حيدر البغدادي، تحقيق: محسن غياض عجيل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٢٣-٢٤.

(٧٧) ينظر: **الرسائل الأدبية**، ص١٨٤.

(٧٨) **ما بقي من كتاب الرحل**، ص٥٣.

(٧٩) السابق، ص٦٨.

(٨٠) **حول مفهوم النثر الفني**، البشير المجدوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، د.ط، ١٩٨٢م، ص١١٠.

(٨١) ينظر: **إحكام صنعة الكلام**، ص١٨٤، و**التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم**، أبو أحمد العسكري، تح: حمد الدخيّل، نادي القصيم الأدبي، بريدة، ط الأولى، ١٤١٨هـ، ص١٢٩.

(٨٢) **ما بقي من كتاب الرحل**، ص٨٣.

(٨٣) ينظر: **اللغة الأدبية والتعبير الاصطلاحي**، أحمد يوسف علي، نادي القصيم الأدبي، بريدة، د.ط، ١٤١٥هـ، ص١٥.

(٨٤) **ما بقي من كتاب الرحل**، ص٨٦. والشعّاب من يصلح الآنية. مفاد من تعليقات محمد بهجة الأثري.

(٨٥) السابق، ص٨٦.

(٨٦) ينظر: **سوائر الأمثال على أفعل**، حمزة الأصفهاني، تحقيق: فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ص١٧٥.

(٨٧) ينظر: **الرسائل الأدبية**، ص٥٤٢. (٨٨) ينظر: **ما بقي من كتاب الرحل**، ص٨٣.

(٨٩) يشير إلى هذا هارولد بلوم (Harold Bloom)، ويرى أنّ الضعفاء يقبلون التأثير. نقلاً عن: **المقامات والتلقّي**، ص١٠٦.

(٩٠) ينظر: **السرد العربي القديم، الأنواع والوظائف والبنيات**، إبراهيم صحراوي، الدار العربية للعلوم، بيروت، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص١٤٢.

(٩١) **ما بقي من كتاب الرِّحَل**، ص٥٨.

(٩٢) السابق، ص٥٩–٦٠. (٩٣) السابق، ص٦٩. (٩٤) السابق، ص٧٧.

(٩٥) **ما بقي من كتاب الرحل**، ص٤٩.

(٩٦) ينظر: السابق، ص١٧.

(٩٧) السابق، ص٥٦.

(٩٨) ينظر: **شرح مقامات بديع الزمان**، ص٤٣٧، ومقامات الحريري، المطبعة الحسينية، القاهرة، ١٣٢٥هـ، ص٣٩٠.

(٩٩) ينظر: **ما بقي من كتاب الرحل**، ص٦٦، ٧٨.

(١٠٠) ينظر: السابق، ص١٨، ٢١، ٢٣.

(١٠١) ينظر: السابق، ص٦٦.

(١٠٢) ينظر: السابق، ص٣٢، ٤٦، ٧٠.

(١٠٣) ينظر: **الرسائل الأدبية**، ص ٣٢٨ وما بعدها.

(١٠٤) ينظر: السابق، ص٣٢٧.

(١٠٥) ينظر: السابق، ص٣٣٠.

(لا) المشبَّهة بـ (ليس)

بقلم: د. يوخنَّا مرزا الخامس*

المقدِّمة:

تَختلِفُ العربيَّةُ في قوَّةِ أَساليبها عن اللُغاتِ الأُخرى اختلافًا كبيرًا، فمثلاً اللُغة الإنجليزيَّة، ليس فيها جملةٌ اسميَّةٌ وجملةٌ فعليَّةٌ، بل إنَّ جملَها فعليَّةٌ جميعًا. وإنَّ أساليبَها وطرائقَ التَّحدُّثِ بها، تختلفُ أيضًا عن العربيَّةِ. فأُسلوبُ النَّفي في العربيَّةِ أُسلوبٌ كبيرٌ وواسِعٌ، ولا نجدُ لهُ مثيلاً في الإنجليزيَّةِ. ولا نُحِبُّ أنْ نُقيمَ هنا مُقارنةً أَو مُقابلةً بينَ العربيَّةِ وغيرِها، وإنَّما هي دِيباجةٌ لموضوعِنا هذا وتوطئةٌ لهُ.

والحقُّ أنَّه مِن خلالِ تدريسي لمادةِ النَّحوِ رأَيتُ أنَّ (لا) الَّتي يُسمِّيها النَّحويُّونَ (لا العاملةِ عمل ليسَ)، قليلةَ الشَّواهِدِ كثيرةَ الشُّروطِ، معَ تشكيكِ كثيرٍ مِنَ النَّحويينَ في عملِها عملَ ليسَ. وهذا كُلُّهُ زادَ مِنْ شكِّي فيها. إذ كُلَّما كنتُ أبحثُ عنها، أَزدادُ يقينًا أَنَّ (لا) هذهِ لا تعملُ عملَ ليسَ، وإنَّ اقترابَها مِنْ ليسَ هوَ مِنْ بابِ التَّشبيهِ بها في المعنى، ولا تعملُ عملها للأَدلَّةِ والبراهينِ الَّتي قدَّمناها في بحثنا هذا.

وعندما عَمدتُ إلى العودةِ إلى أَغلبِ المصادرِ والمراجِعِ النَّحويَّةِ، وجدتُ تضارُبًا عظيمًا بينَ عُلمائِنا مِنَ السَّلفِ في عملِها وشُروطِها، ممَّا يؤكِّدُ مِرارًا أَنَّ (لا) هذهِ لا تعملُ عملَ (ليسَ). على أَنَّ بحثي في (لا) لم يقتصرْ على كُتُبِ النَّحوِ، بل تخطَّاها إلى كُتُبِ التَّفسيرِ، والأدبِ وشروحِهِ، والنَّقدِ وغيرِها.

وحسنًا فعلتْ وزارةُ التَّربيةِ في جمهوريَّة العراقِ عندما رفعتْ (لا) العاملةِ عمل ليسَ مِنْ مناهِجِها، وهذا الأمرُ آضَ الفكرةَ عليَّ مرَّاتٍ، بعدَ أن استخرتُ اللَّهَ، فاستوى البحثُ عندي على ما هوَ عليهِ الآنَ.

وأَخيرًا أَرجو أَنْ أَكونَ مُوفَّقًا لما فيهِ صالحٌ للعربيَّةِ، وأنْ أَجِدَ عندَ الباحثينَ الرأْيَ السَّديدَ -وهو كذلك- فيما ذكرتُ مِنْ آراءَ وتخريجاتٍ حول موضوعِ البحثِ.

والحمدُ للَّهِ في البدايةِ والختامِ.

عملُ (لا)

يُقسِّمُ النَّحويُّونَ حروفَ المعاني إلى حروفٍ مُختصَّةٍ وحروفٍ غيرِ مُختصَّةٍ. والمختصَّةُ هي الحرفُ العاملةِ؛ لأَنَّها تختصُّ بالأَفعالِ أو بالأَسماءِ، وغيرِ المختصَّةِ هي الدَّاخلةُ على الأَفعالِ والأَسماءِ[1]؛ فتكونُ غيرَ عاملةٍ على هذا التَّوصيفِ. وهذا تنظيرٌ شائعٌ عندَ دارسي النَّحوِ العربيّ.

وعلى الرَّغمِ مِنْ هذا فإنَّ (لا) الَّتي تُسمَّى (لا العاملة عمل ليس)، يضعُها النَّحويُّون ضمنَ الحروفِ الْمُشبَّهةِ بـ(ليسَ)، وهيَ: (ما الحجازيَّة، ولاتَ، وإنْ) تَرفعُ المبتدأَ على أنَّه اسمٌ لها وتنصِبُ الخبرَ على أنَّهُ خبرُها، حالُها في ذلكَ حالُ كانَ وأخواتها، الَّتي (ليسَ) منها.

ولم يتَّفقِ النَّحويُّونَ في مسألةِ (الشَّبهِ) هذهِ، فبينما ذهبَ أَغلَبُهم إلى أَنَّها تُشبهُ (ليسَ)؛ قالَ سيبويهِ (ت ١٨٠هـ) بعدَ أَنْ ذكرَ شاهِدًا نحويًّا؛ ليكونَ حُجَّةً على إعمالِ (لا): ((جعلها[٢] بمنزلةِ ليسَ))[٣]. وهذا ما ردَّدَهُ الْمُبرِّدُ (ت٢٨٦هـ)[٤]. وكما قُلْنا هوَ رأْيُ أَغلبِ النَّحويِّينَ[٥].

وذهبَ نحويُّونَ آخرونَ إلى أَنَّها تُشبهُ (ما) الحجازيَّةَ في الحُكْمِ، قالَ ابنُ يعيش (ت٦٤٦هـ): ((فحكمُها حكمُ ما في الشَّبَهِ والإعمال))[٦]. وقالَ أَبو حيَّان (ت٧٤٥هـ): ((وتعملُ (لا) أَيضًا عملَ (ما)))[٧].

ومِنْ هنا نعلمُ أَنَّ النَّحويِّينَ اختلفُوا في قضيَّةِ التَّشبيهِ. ومهما يكنْ مِن شيءٍ فإنَّ (لا) هذهِ تعملُ عند النَّحويِّينَ عمل (ليسَ)، ولا مُشاحَّةَ في العملِ بينَ (ما) و(لا) و(ليسَ) مِنْ حيثُ العملِ.

بينَ (لا) و(ليسَ) والمشبَّهاتِ بها:

ذَكَرْنا -فيما مضى- عملَ (لا)، وحكمَها. وسنبيِّنُ هنا علاقةَ التَّشابُهِ والاختلافِ بينها و(ليسَ) و(ما الحجازيَّة) و(لاتَ) و(إنْ النَّافية)؛ إذ ذكرَ النَّحويُّون اختلافاتٍ في هذا الموضوعِ. وهذا تفصيلُ ذلك:

١- بينَ (لا) و(ليسَ): ذكرَ ابنُ هشامٍ (ت٧٦١هـ)، وتَبِعَهُ الدُّسوقيُّ (ت١٢٣٠هـ) في **حاشيتِهِ على المُغنِي**، ثلاثةَ فُروقٍ بينَ (لا) و(ليسَ)؛ وذكرَ هذهِ الفروقَ على سبيلِ الافتراقِ بينهما، واختلافِ كُلٍّ واحدٍ عن صاحِبِهِ، على الرَّغمِ مِنْ إلحاقِ (لا) بـ(ليسَ) في العملِ والمعنى.

والفُروقُ الثَّلاثةُ هيَ[٨]:

الفرقُ الأَوَّلُ بينهما هو أَنَّ عملَ (ليسَ) كثيرٌ، وعملَ (لا) قليلٌ، وقِلَّتُه -كما سنرى- هو مِنَ الأسبابِ الَّتي دعا النَّحويُّونَ إلى عدمِ عملِها.

والفرقُ الثَّاني هو قِلَّةُ ورُودِ خبرِ (لا)، فلا يكادُ يُذكرُ؛ إِذْ نُقِلَ عن الزَّجَّاج (ت٣١١هـ)[٩] قولُهُ إِنَّهُ لم يظفرْ بخبرِها، فادَّعى أَنَّها لا تعملُ إِلاَّ في الاسمِ (المبتدإِ) خاصَّةً. و(ليسَ) لا تَرِدُ إِلاَّ معَ اسمِها وخبرها.

والثَّالثُ: أَنَّ (ليسَ) تعملُ في النَّكراتِ والمعارِف، أَمَّا (لا) فهي تعملُ في النَّكراتِ خاصَّة.

نفقهُ مِن هذهِ الفروق المذكورةِ آنفًا، أَنَّ (لا) تختلفُ عن (ليسَ) اختلافًا كبيرًا؛ فالأُولى قليلةُ العملِ والورودِ في النُّصوصِ، حتَّى ذهبَ كثيرٌ مِنَ النَّحوِيِّينَ إِلى أَنَّها مُختصَّةٌ بالشِّعرِ دونَ النَّثرِ[١٠]، ولا تعملُ إِلاَّ في النَّكراتِ دونَ المعارِفِ، ولضَعْفِ عملها لم يرَ الزَّجَّاجُ -كما بيَّنَّا- خبرًا لها. وهنا نسألُ: هل يُعقلُ أَنَّ الزَّجَّاجَ لم يَظْفُرْ ببيتٍ وردَ فيهِ خبرُ (لا)؟ والجوابُ على ذلكَ أَنَّهُ لا يُعقَلُ ذلكَ مِنْ عالِمٍ جهبذٍ مثلهُ؛ ولكنَّهُ لم يرَ أَنَّ الاسمَ

بعدَها هو الخبرُ؛ وإِنَّما هو منصوبٌ بشيءٍ آخرَ كما سنُناقِشُهُ في المطالِبِ القابلةِ مِن هذا البحثِ.

ولهذا كُلِّهِ يُحاوِلُ ابنُ الشَّجريِّ (ت ٥٤٢هـ) أَنْ يَجِدَ لهذا التَّناقُضِ مخرجًا، فقالَ: ((إِنَّ (لا) ضعيفةٌ في بابِ العملِ؛ لأَنَّها إِنَّما تعملُ بحُكمِ الشَّبَهِ لا بحُكمِ الأصلِ في العملِ))[١١]. وهذا تخريجٌ أَرادَ منهُ قائلُهُ التَّخلُّصِ مِنَ الاختلافِ بينَ (لا) و(ليسَ).

٢- بينَ (لا) و(ما) الحجازيَّة: ذكرْنا أَنَّ مِنَ النَّحويينَ مَنْ يذهبُ إِلى أَنَّ (لا) تشبهُ (ما) الحجازيَّة في الحُكمِ، وليسَ كما ذهبَ أَغلبُ النَّحوِيِّينَ إِلى أَنَّها تشبهُ (ليسَ) في الحُكمِ[١٢].

وفصَّلَ بعضُ النَّحوِيِّينَ هذهِ الثُّنائيَّةِ في الْمُشابهةِ؛ قالَ أَبو العباس الْمُهلَّبيُّ (ت٦٤٤هـ): ((نَعَم هي مُشبَّهةٌ بِـ(لَيسَ) إِذا ولِيَتْها النَّكرةُ، وها هُنا وليتها المعرفةُ، وإِنَّما حُمِلَتْ -ها هُنا- ((لا)) على ((ما)) في دخولِها على المعرِفةِ لنفي الحال كما حُمِلَتْ عليها في نفي الماضي الْمُقرَّبِ مِنَ الحالِ))[١٣]. وهكذا يُفصِّلُ المُهلَّبيُّ قضيةَ التَّشابهِ، فيؤكِّدُ أَنَّ (لا) إِذا ولِيَها اسمُ نكرةٍ فهي مُشبَّهةٌ بـ(ليسَ)، أَمَّا إِذا ولِيَهَا اسمُ معرفةٍ فهي مُشبَّهَةٌ بـ(ما).

وناقشَ النَّحوِيُّونَ مسأَلةً أُخرى تخصُّ الحرفَيْنِ مِنْ خَلَلِ لهجتِهِما، فبينما ذهبَ بعضُهم إِلى أَنَّها مثلُ (ما) حجازيَّةٌ[١٤]، ذهبَ آخرُونَ إِلى أَنَّها ليستْ كذلك؛ وحُجَّتُهم في ذلكَ أَنَّهم لمْ يجدُوا مَنْ ينقلُ عملَ (لا) عنِ الحِجازِيِّينَ

مثلَ (ما)؛ لذا توصَّلَ الرَّضيُّ (ت٦٨٨هـ) إلى نتيجةٍ تؤكِّدُ على أَنَّ ((اللغةَ الحجازيَّةَ إذنْ، إعمالُ ((ما)) وحدَها دونَ ((لا)) عمل ليسَ))[١٥].

٣- بينَ (لا) و(إنْ) النَّافيةِ: اختلَفَ النَّحويُّونَ أيضًا في كَثرةِ أَو قِلَّةِ إعمالِ (إنْ) و(لا)، المشبَّهتَيْنِ بـ(ليسَ). فذهبَ ابن مالك (ت٦٧٢هـ) إلى أَنَّ عملَ (إنْ) قليلٌ، وأنَّ (لا) أَكثرُ إعمالاً منه؛ إذْ قالَ ((وتُلْحَقُ بها[١٦] (إنْ) النَّافية قليلاً، و(لا) كثيرًا))[١٧]. وذهبَ أَبو حيَّان الأَندلسيُّ إلى أَنَّ إعمالَ (لا) قليلٌ، قالَ: ((وتعملُ (لا) أَيضًا عملَ (ما)، وعملُها قليلٌ بخلافِ عملِ (إنْ)، ودعوى ابنِ مالك باطلةٌ))[١٨]. فعلى الرَّغمِ مِنْ أَنَّنا نميلُ إلى رأْي أَبي حيَّان، إلاَّ أَنَّ هذه المسأَلةَ تَدُلُّ على عُمْقِ الخلافِ في (لا) هذهِ المشكوك في عملِها سَلَفًا.

٤- بينَ (لا) و(لاتَ): يُعلِّلُ النَّحويُّونَ أَنَّ (لاتَ) ما هيَ إلاَّ (لا) عاملةٌ عملَ (ليسَ)، أُضيفتْ إليها (تاءُ التأْنِيثِ)، ثُمَّ دخلتْ بعدَ ذلكَ على الظُّروفِ[١٩].

ويقولُ في ذلكَ الخوارزميُّ (ت٦١٧هـ) مُبرِّرًا: ((وإنَّما أُردِفتْ[٢٠] بالتَّاءِ ليصيرَ لها بـ(ليسَ) شبهُ صورةٍ كما لها بها شبهُ معنًى))[٢١]. وهذا التَّعليلُ يؤكِّدُ على أَنَّ (لاتَ) بدخولِ التَّاءِ عليها صارتْ أَكثرَ قُربًا مِن (ليسَ) في اللَّفظِ والمعنى. وثَمَّةَ تعليلاتٌ أُخرى وردتْ في كُتُبِ النَّحوِ توضِّحُ إضافةَ (تاءِ التأْنيثِ) إلى (لا)، يضيقُ هذا البحثُ عن ذِكْرِها[٢٢].

ومِنَ النُّصوصِ الَّتي تبنَّت فكرة القربِ بينَ (لا) و(لاتَ) ما قالَهُ الهرويُّ (ت٤١٥هـ): ((وأَمَّا (لا) بمعنى ليسَ فقولُكَ: (لا رجلٌ في الدَّارِ)، بالرَّفعِ والتَّنوينِ، بمعنى ليسَ رجلٌ في الدَّارِ، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾[٢٣]. أَي فِرارٍ، والتَّاءُ زائدةٌ في لاتَ))[٢٤].

وهذهِ مُشكِلةٌ أُخرى تُصادِفُنا عن (لا) هذهِ، فإِنَّ التَّفكيرَ في التَّقارُبِ بين الحرفَينِ قادَ إِلى خلافٍ لا طائلَ منهُ في النَّحو والصَّرفِ معًا.

التَّشابُهُ والاختلافُ بين (لا) الْمُشبَّهةِ بليسَ و(لا) النَّافيةِ للجنسِ:

تتشابُهُ (لا) النَّافية للجنسِ و(لا) المشبَّهَةِ بـ(ليسَ) بأَنَّهُما تتبعانِ النَّواسخَ، الأُولى تتبعُ (إِنَّ) وأَخواتِها، والأُخرى (كان) وأَخواتِها. ومعَ هذا فإِنَّ الفرقَ الَّذي يذكُرُهُ النَّحويُّونَ هو فرقٌ في المعنى بالدَّرجةِ الأَساسِ؛ لأَنَّ الفرقَ الإِعرابيَّ واضحٌ بينهُما. وقد شرحَ لنا العُكبَريُّ (ت٦١٦هـ) الفرقَ المعنويَّ بينهما، فقالَ: ((واحْتِيجَ إِلى تقديرِ مِن لتَدُلَّ ((لا)) على نفي الجنسِ؛ أَلا ترى أَنَّكَ تقولُ: لا رجلَ في الدَّارِ، فتنفي الواحِدَ وما زادَ عليه، فإِذا قُلْتَ: لا رجلٌ في الدَّارِ، فرفعتَ ونوَّنتَ نفيتَ الواحِدَ ولم تنفِ ما زادَ عليهِ؛ إِذ يجوزُ أَنْ يكونَ فيها اثنانِ أَو أَكثر))[٢٥]. وهذا تفسيرٌ واضحٌ يُبيِّنُ الفرقَ بينَ الحرفينِ.

شُروطُ عملِ (لا):

وَضَعَ النَّحويُّونَ شروطًا لعملِ (لا) هذهِ، على الرَّغمِ مِنْ أَنَّها لم تَرِدْ إِلاَّ في أَبياتٍ معدودةٍ كما سنرى. وقدْ أَحصينا شروطَ عملِها المذكورة في

كُتُبِ النَّحوِ فإذا هي ستَّةُ شروطٍ، وكَثرةُ شروطِها تجعلُنا نشكُّ في عملِها؛ لأَنَّ زيادةَ شروطِها توضِّحُ لنا أَنَّ النَّحويِّينَ وجدُوا في عملِها ثغورًا كثيرةً أَرادُوا ترميمَها بهذهِ الشُّروطِ الكثيرةِ الَّتي تفوقُ عملَ أَيِّ أَداةٍ أُخرى مِنْ أَدواتِ المعاني وحروفهِ. والحقُّ أَنَّ عددًا مِن الشُّروطِ الَّتي سنذكرُها بعدَ قليلٍ لا تختلِفُ عن شروطِ (ما) أَو (إِنْ) المشبَّهتَيْنِ بـ(ليسَ) أَيضًا. وشروطٌ أُخرى تخُصُّها هي بعينِها. وهذا تفصيلٌ بذلكَ:

١- لا تدخلُ (لا) إِلاَّ على النَّكِرَةِ، فيكونُ معمولاها نكرَتَيْنِ، ولا تدخلُ على معرفةٍ[٢٦]. يقولُ الْمُبرِّدُ: ((وقد تُجْعَلُ (لا) بمنزلةِ (ليسَ) لاجتماعهِما في المعنى، ولا تعملُ إِلاَّ في النكرةِ))[٢٧]. ويذكرُ هذا الشَّرطَ كلُّ مَنْ درسَ (لا) هذهِ وشرحَها[٢٨]. ومعَ هذا فإِنَّنا نجدُ أَنَّ نحويِّينَ أَجازُوا دخولَها على المعرفةِ، وسنُفصِّلُ ذلكَ في غيرِ مكانٍ مِنْ بحثِنا هذا.

٢- والشَّرطُ الثَّاني، أَنْ يكونَ اسمُها مُقدَّمًا على خبرِها، فإِذا تقدَّمَ الخبرُ بَطَلَ عملُها، وهذا الشَّرطُ تتفِقُ فيهِ (لا) معَ (ما) المشبَّهَةِ بـ(ليسَ)[٢٩].

٣- وذكرَ النَّحويُّونَ شرطًا آخرَ؛ هو أَلاَّ يُفْصَلَ بينها واسمها بفاصِلٍ، فلا يتلوها غير اسمِها[٣٠]، وذهبَ بعضُ النَّحويِّينَ إِلى أَنَّ المقصودَ بهذا الشَّرطِ هو معمولُ الخبرِ؛ قالَ ابنُ هشامٍ: ((أَلاَّ يتقدَّمَ معمولُ الخبرِ))[٣١]. فهي تكونُ عاملِةٌ في مثلِ قولِنا: لا رجلٌ أَفضلَ منكَ. وتكونُ غيرَ عاملِةٍ إِذا قُلْنا: لا رجلٌ مِنكَ أَفضلُ. وقد فسَّرَ الْمُبرِّدُ لِمَ لا تعملُ (لا) إِذا تمَّ الفصلُ بينها واسمِها فقالَ: ((ولا تَفصِلُ بينها وبينَ ما تعملُ فيهِ، لأَنَّها

تجري رافعةً مجراها ناصِبة))[٣٢]. وكرَّرَ ابنُ السَّرَّاجِ (ت٣١٦هـ) التَّعليلَ عينَهُ[٣٣].

٤- وهذا الشَّرطُ الَّذي نذكُرُهُ الآن تتفقُ فيهِ (لا) معَ (ما) الحجازيَّة. والغريبُ أَنَّ هذا الشَّرطَ ذكرَهُ عددٌ مِنَ النَّحويِّينَ، ولمْ يأْتِ في كثيرٍ مِنْ كُتُبِ النَّحوِ الَّتي تناولتْ (لا) هذهِ. والشَّرطُ هوَ أَلاَّ ينتقِضَ نفيُها بـ(إِلاَّ)؛ فإِذا نَقَضَتْها (إِلاَّ) بَطَلَ عَمَلُها[٣٤].

٥- وذكَرَ النَّحويُّونَ المتأَخِّرونَ ولاسيَّما نُحاةَ المغربِ[٣٥]. أَنَّ (لا) الْمُشبَّهةِ بـ(ليسَ) تختصُّ بالشِّعرِ دونَ النَّثرِ، قالَ أَبو حيَّان: ((أَنْ يكونَ الكلامُ الَّذي فيهِ شعرًا لا نثرًا))[٣٦]. وهذا الشَّرطُ مِن استقراءِ المتأخرينَ، عندما لم يعثرُوا على نصٍّ نثريٍّ مِنَ القرآنِ الكريمِ أَو غيرِهِ، عملَتْ فيهِ (لا) عملَ (ليسَ). وحتَّى ورُودُها في الشِّعرِ قليلٌ؛ قالَ المرزوقيُّ (ت٤٢١هـ): ((وهذا يقلُّ في الشِّعرِ ولا يكثُرُ))[٣٧]. ولا نعلمُ أَداةً غيرَ هذهِ اختصَّتْ بالشِّعرِ دونَ النَّثرِ.

٦- وضعَ النَّحويُّونَ المتأَخرونَ شرطًا سادِسًا يَخُصُّ معناها هذهِ المرَّة، فقالُوا يجب أَنْ تدلَّ على نفيِ المفرَدِ وليسَ على جنسِ الشَّيءِ المنفيِّ -كما ذكرنا-؛ قالَ السَّمينُ الحلبيُّ (ت٧٥٦هـ): ((واعلمْ أَنَّ (لا) لفظٌ مشترَكٌ بينَ النَّفيِ، وهي فيهِ على قسمَيْنِ: قسمٌ تنفي فيهِ الجنسَ، فتعملُ عملَ (إِنَّ) كما تقدَّمَ، وقسمٌ تنفِي فيهِ الوحدةَ، وتعملُ حينئذٍ عملَ ليسَ))[٣٨]. فما دلَّ على نفيٍ عامٍّ، كانَ نفيُهُ بـ(لا) التَّبرئةِ، وما دلَّ على نفيٍ خاصٍّ كانَ نفيُهُ

بـ(لا) المشبَّهَةِ بـ(ليسَ). وقد عبَّرَ ابنُ بابشاذ (ت٤٦٩هـ) بمصطلحَيْنِ آخرَيْنِ هما: (نفي استغراق)، و(نفي اختصاص). قالَ: ((فإنَّ جملةَ الأَمرِ في (لا) أَنَّها على ضربَيْنِ. تارةً يكونُ النَّفيُ بها نفيَ استغراقٍ. والأُخرى لا يكونُ نفيَ استغراقٍ بل نفي اختصاص))[٣٩]. وهذا المعنى يَرِدُ في كثيرٍ مِنْ كُتُبِ النَّحوِيِّينَ المتأَخِّرِينَ[٤٠].

هذهِ هي الشُّروطُ الَّتي وضعَها النَّحوِيُّونَ كي تعملَ (لا) عملَ (ليسَ). ونلمسُ فيها تعسُّفًا شديدًا؛ لتكونَ مُلائمةً في عملِها عملَ (ليسَ).

(لا) ولُغاتُ القبائل:

قاربَ النَّحوِيُّونَ بينَ (ما) و(لا) مِنْ خَلَلِ إعمالِها على لُغةِ أَهلِ الحجازِ -كما قُلْنا- وإهمالُها على لُغةِ بني تميمٍ. والحقُّ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ ذهبَ إلى أَنَّ إعمالَها على لُغةِ أَهلِ الحِجازِ هو ناصر بن أَبي المكارم المطرَّزيُّ (ت٦١٠هـ)؛ قال السُّيوطيُّ (ت٩١١هـ): ((قالَ أَبو حيَّان: لم يُصرِّحْ أَحدٌ بأَنَّ إعمالَ (لا) عملَ ليسَ بالنِّسبةِ إلى لُغةٍ مخصوصةٍ إلاَّ صاحبُ "**الْمُغرِب**" ناصرُ الْمُطرَّزيُّ، فإِنَّهُ قالَ فيهِ: بنو تميمٍ لا يُعْمِلُونَها، وغيرُهم يُعْمِلُها))[٤١]. وتلا النُّحاةُ مِنْ بعدِ الْمُطرَّزيِّ تِلْوَهُ في نسبةِ إعمالِها إلى الحِجازِيِّينَ، وإبطالِ عملِها إلى التَّميميينَ؛ حالُها في ذلكَ حالُ (ما) الحِجازيَّة[٤٢].

وقد صرَّحَ بعضُ النَّحوِيِّينَ بأنَّ إعمَالَها على لُغةِ أَهلِ الحجازِ قليلٌ، وليستْ مثلَ (ما)، فإنَّ هذهِ الأَخيرةَ -مثل ما هو معروفٌ- تعملُ بشروطٍ على هذهِ اللُغةِ في النَّثرِ والشِّعرِ، أَمَّا (لا) فيقولُ الشَّيخُ خالد الأَزهريُّ

(ت٩٠٥هـ): ((وأَمَّا (لا) فإعمالُها إعمالَ ليسَ قليلٌ جدًّا عند الحِجازيينَ))[٤٣]. نفهمُ مِنْ هذا النَّصِّ أَنَّها لُغةٌ حِجازيَّةٌ، لكنَّ إعمالَها قليلٌ. وهذا أَمرٌ غريبٌ يُضافُ إلى الْمُبهماتِ الَّتي تحومُ حولَ عملِ (لا) هذهِ، وشكٌّ يزيدُ في الحثِّ على تخريجِ النُّصوصِ الَّتي وردتْ فيها (لا) بما يُناسبُ القاعدةَ النَّحويَّةَ والتَّفكيرَ النَّحويِّ. والعجيبُ في هذا المطلَبِ أَيضًا أَنَّ أَوَّلَ مَنْ صرَّحَ بأَنَّ (لا) العاملةَ حجازيَّةٌ هو مِنْ عُلماءِ القرنَيْنِ السَّادِسِ والسَّابعِ الهجريينِ، فكيفَ يُعْقَلُ أَنْ تُكشَفَ لُغةٌ في قرونٍ مُتأَخِّرَةٍ، ولم يذكرْها نحويٌّ مِن النُّحاةِ الْمُتقدِّمِينَ؟!.

مذاهِبُ النَّحويينَ في إعمالِ (لا):

بما أَنَّ الشَّكَّ يحومُ حولَ (لا) هذهِ، فلا غرابةَ أَنْ يَختلِفَ النَّحويُّونَ في إعمالِها اختلافًا شديدًا، فمنهم مَنْ ذهبَ إلى أَنَّها عامِلَةٌ عملَ (ليسَ)، وآخَرُ ذهبَ إلى أَنَّها مُهملةٌ، وفريقٌ آخرُ احتجَّ بأَنَّها عاملةٌ في الاسمِ وغيرُ عامِلةٍ في الخبرِ، وفريقٌ رابعٌ يؤكِّدُ مرَّةً على أَنَّها عامِلةٌ، ويؤكِّدُ في مرَّةٍ أُخرى أَنَّها غيرُ عامِلَةٍ، على ما سنُفصِّلُهُ الآنَ:

- الرأيُ الأَوَّلُ: إعمالُ (لا): قُلْنا إنَّ سيبويه أَوَّلُ مَنْ ذكرَ شبهَها بـ(ليسَ)، وذلكَ بعدَ تحليلهِ لأَبياتٍ شعريَّةٍ جاءَ فيها المبتدأُ مرفوعًا والخبرُ منصوبًا، بعد (لا). وهذا كانَ تخريجُهُ لتلكَ الأَبياتِ وليسَ رأْيُهُ؛ قالَ ((وقد جُعِلَتْ، وليسَ ذلكَ بالأَكثرِ، بمنزلةِ ليسَ))[٤٤]. وتلا تِلْوهُ أَغلبَ البصريِّينَ في إعمالِها

عملَ (ليسَ)[٤٥]. ولا نجدُ مِنَ النَّحوِيِّينَ القُدامَى والْمُحدثِينَ إِلاَّ كرَّرَ هذا القولَ[٤٦]. وسنُناقش رأْيَ سيبويه في الفِقرَةِ التَّاليةِ.

● الرَّأْيُ الثَّاني: امتناعُ إِعمالِها: وذهبَ الأَخفشُ الأَوسطُ (ت٢١٥هـ) إِلى إِهمالِها، وعدمِ إِعمالِها. وهوَ أَوَّلُ مَنْ ذهبَ هذا المذهبَ. وقيلَ إِنَّ الْمُبرِّدَ رأَى بهذا الرَّأْيَ. قالَ السُّيوطيُّ: ((...أَنَّها لا تعملُ أَصلاً، ويرتَفِعُ ما بعدها بالابتداءِ والخبرِ، ولا ينصبُ، وعليهِ أَبو الحسن))[٤٧]. وقالَ الْمُرادِيُّ (ت٧٤٩هـ): ((...خلافًا للمُبرِّدِ ومَنْ وافَقَهُ في منعِهم إِعمالَها عملَ (ليسَ)))[٤٨]. نفهمُ مِنْ هذينِ النَّصَّينِ أَنَّ الرأْيَ الْمُعارِضَ لعملِ (لا) عملَ (ليسَ) ظهرَ بعدَ الرأْيِ الَّذي ذهبَ إِلى إِعمالِها. وهذا يعني أَنَّ هذا الرأْيَ ظهرَ بعدَ أَنْ استوتْ قواعِدُ النَّحوِ، وأَخذَ العُلماءُ ينظرونَ في القواعِدِ النَّحويَّةِ نظرةَ ناقِدٍ، وليسَ نظرةَ ناقِلٍ وواصِفٍ للنَّحوِ. وممَّا يُؤيِّدُ قولنا هذا، ما قالَهُ أَبو حيَّان: ((وزعمَ الأَخفشُ والمُبرِّدُ أَنَّ (لا) لا تعملُ عملَ ليسَ، وَزَعَما أَنَّ قولَ سيبويهِ (وإِنْ شئتَ قُلْتَ: لا أَحَدٌ أَفضلَ منكَ في قولِ مَنْ جعلَها كليسَ) إِنَّما قالَهُ قياسًا منهُ ولذلكَ ساغَ لهما خلافُهُ))[٤٩]. وهذا النَّصُّ يؤكِّدُ بما لا يقبلُ الشَّكَّ أَنَّ سيبويه يقيسُ ولا يضعُ قاعِدةً قائمةً برأْسِها في إِعدادِ (لا) مِنَ العامِلات عملَ (ليسَ). وخيرُ مَنْ وضَّحَ أَنَّ (لا) لا تعملُ عملَ (ليسَ) أَبدًا هو الرَّضيُّ الاستراباديُّ؛ قالَ: ((قولُهُ[٥٠]: (وهي حِجازيَّةٌ) أَي هذهِ اللغةُ، وهي إِعمالُ (ما) و(لا) عملَ (ليسَ)))، وقد ذكرْنا أَنَّهم لا ينقلُونَ عن أَحدٍ، لا عن الحِجازيينَ ولا عن

غيرهِم رفعَ اسمِ (لا) ونصبَ خبرِها في موضعٍ، فاللغةُ الحِجازيَّةُ إِذنْ، إِعمالُ (ما) وحدَها دونَ (لا) عمل ليسَ))[٥١]. ويبدو أَنَّ كلامَ الاستراباديِّ هذا جاءَ بعدَ أَنْ عَرفَ أَنَّ (لا) لا تعملُ عملَ ليسَ؛ إِذ قالَ: ((والظَّاهِرُ أَنَّهُ لا تعملُ (لا) عملَ ليسَ، لا شاذًّا ولا قياسًا ولم يُوجد في شيءٍ مِنْ كلامِهم خبرُ (لا) منصوبًا كخبرِ (ما) و(ليسَ)))[٥٢]. نصَّانِ لا يقبلانِ الشَّكَّ والطَّعنَ، فبدأَ رفضُ الرأْيِ الَّذي يذهبُ إِلى إِعمالِ (لا) عملَ (ليسَ) مِنَ الأَخفشِ، واستمرَّ ذلكَ حتَّى وصلْنا إِلى الرَّضيِّ الاستراباديِّ الَّذي يرفضُ أَنْ تكونَ (لا) العاملةُ حِجازيَّةً -كما بيَّنَّا في المطلبِ السَّابقِ- وكذلكَ أَكَّدَ أَنَّها لم تعملْ حتَّى على ضَعفٍ لا شاذًّا، ولا قياسًا على رأْيِ سيبويهِ. ومِن المسلَّمِ بهِ أَنَّ الاستراباديَّ نظرَ في الشَّواهِدِ الخاصَّةِ بـ(لا) هذهِ، حتَّى توصَّلَ إِلى هذهِ النَّتيجةِ الخطيرةِ.

● الرأْيُ الثَّالثُ: إِعمالُها في الاسمِ دونَ الخبرِ: وهذا رأْيُ الزَّجَّاجِ، فقدْ ذهبَ إِلى أَنَّ (لا) تعملُ في الاسمِ خاصَّةً، ولا تعملُ في الخبرِ؛ هي معَ اسمِها في محلِّ رفعٍ على الابتداءِ. قالَ أَبو حيَّان: ((وذهبَ بعضُهم إِلى أَنَّها أُجريتْ مُجرى (ليسَ) في رفْعِ الاسمِ خاصَّةً، لا في نصْبِ الخبرِ وهو مذهبُ الزَّجَّاجِ؛ قالَ: وهيَ معَ اسمها في موضِعِ رفعٍ على الابتداءِ. وزعمَ بعضُهُم أَنَّها لم يُحفَظِ النَّصبُ في خبرِها ملفوظًا بهِ، والصَّحيحُ سماعُ ذلكَ لكنَّهُ في غايةِ الشُّذوذِ والقِلَّةِ))[٥٣].

● الرأْيُ الرَّابع: حذفُ خبرِها: وهذا الرَّأْيُ مُتعلِّقٌ بما قبلَهُ، ولكنَّ الفرقَ بينهُما أَنَّ صاحِبَ الرأْيِ السَّابِقِ وهوَ الزَّجَّاجُ يذهبُ إِلى أَنَّ (لا) هذهِ لا خبرَ لها مُطلَقًا، أَمَّا أَصحابُ هذا الرَّأْي -وهم جماعةٌ مِنَ النَّحويينَ الْمُتأَخِّرينَ- فيذهبونَ إِلى أَنَّ خبرَها محذوفٌ، ومِنْ كَثرةِ ما وردَ محذوفًا أَلْزمُوهُ الحذفَ. قالَ ابنُ هشام: ((والغالِبُ أَنْ يكونَ خبرُها محذوفًا، حتَّى قيلَ يلزمُ ذلكَ، كقولِه[٥٤]:

فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لاَ بَرَاحُ

والصَّحيحُ جوازُ ذلكَ))[٥٥]. وقدَّرَ النَّحوِيُّونَ الْمُتأَخِّرُونَ المحذوفَ في هذا البيتِ بـ(لا براحَ لي)[٥٦].

● الرأَيُ الخامِسُ: شُذوذُ عملِ (لا): وهذا رأْيُ عددٍ مِن النَّحوِيِّينَ الْمُتأخِّرينَ أَيضًا، ونرى أَنَّهُ مِنَ الآراءِ الصائبةِ؛ لأَنَّها عملتْ في أَبياتٍ معدودةٍ، واختصَّتْ بالشِّعرِ دونَ النَّثرِ. وعلى هذا الرأي تُحفظُ الشَّواهِدُ ولا يُقاسُ عليها؛ قالَ البغداديُّ (ت١٠٩٣هـ): ((...أَنَّ (لا) تعملُ عملَ (ليسَ) شذوذًا))[٥٧]؛ وعلَّلَ الْمُلاَّ جاميّ (ت٨٩٨هـ) سببَ عملها عملَ (ليسَ) شذوذًا، فقالَ: ((عملُ (ليسَ) في (لا) دونَ (ما) شاذٌّ قليلٌ، لنقصانِ مُشابهةِ (لا) بـ (ليسَ)...))[٥٨].

● الرأْيُ السَّادسُ: دخولُ (لا) على المعرفةِ: رأَينا أَنَّ مِنْ شروطِ عملِها، أَنْ تدخلَ (لا) على جُملةٍ اسميَّةٍ أَصلُها مبتدأٌ وخبرٌ، يكونانِ نكرتينِ، هذا أَحدُ الشُّروطِ الَّتي وضعَها مَنْ وافقَ عملَها عملَ (ليسَ). ونريدُ هنا أَنْ

نذكُرَ الرأْيَ الَّذي أَجازَ إِعمالَها في المعرفةِ. لكنْ قبلَ ذلكَ علينا أَنْ نُبيِّنَ ما قالَهُ النَّحويُّونَ في المبتدإِ والخبرِ النَّكرتينِ بعامَّةٍ. قالَ ابنُ عصفور (ت٦٦٩هـ): ((فإِنْ كانا[٥٩] نكرتَينِ جعَلْتَ أَيُّهُما شِئتَ الاسم والآخر الخبر إِنْ كانَ لكُلِّ واحِدٍ منهُما مُسَوِّغٌ للإِخبارِ عنهُ، نحو: أَكانَ رجلٌ قائماً؟ وكانَ قائمٌ رجلاً...))[٦٠]. ومِنَ المسلَّمِ بهِ في النَّحوِ، أَنَّهُ لا يجوزُ الابتداءُ بنكرةٍ إِلاَّ إِذا كانَ هناكَ مُسوِّغٌ؛ وإِنْ لم يكنْ فيجِبُ تقديمُ الخبرِ وجوبًا؛ قالَ الكِسائيُّ (ت١٨٩هـ): ((النَّكِراتُ يُبتَدَأُ بأَخبارِها قبلَها لئَلاَّ يوهِمَكَ أَخبارُها أَنَّها صِلاتٌ))[٦١]. هذا مُختَصَرٌ عمَّا يُردِّدُهُ النَّحويُّونَ في قضيَّةِ كونِ المبتدإِ والخبرِ نكرتَيْنِ[٦٢]. وما يُهِمُّنا مِنْ هذا الموضوعِ هو، هلْ تعمل (لا) في المعارفِ؟ والجوابُ على هذا السُّؤالِ ما نصَّ عليهِ سيبويهِ: ((واعلمْ أَنَّ المعارِفَ لا تجري مجرى النَّكرةِ في هذا البابِ؛ لأَنَّ (لا) لا تعملُ في معرِفةٍ أَبدًا))[٦٣]. نصٌّ صريحٌ يؤكِّدُ على أَنَّ (لا) لا تعملُ عملَ (ليسَ) إِذا دخلَتْ على معرفةٍ. ردَّدَ هذا القولَ أَغلبُ النَّحوِيِّينَ؛ قالَ الْمُبرِّدُ: ((فإِنْ كانتْ معرِفةً[٦٤] لم تكُنْ إِلاَّ رفعًا؛ لأَنَّ (لا) لا تعملُ في معرفةٍ، وذلكَ قولُكَ: لا زيدٌ في الدَّارِ، إِنَّما هو جوابٌ: أَزيدٌ في الدَّارِ؟))[٦٥]. وقالَ الحريريُّ (ت٥١٦هـ): ((أَنْ تدخُلَ[٦٦] على الاسمِ المعرفةِ المفردِ فلا تؤثِّرُ فيهِ، بل يكونُ مرفوعًا على الابتداءِ، كقولِكَ: لا زيدٌ مُنطلِقٌ))[٦٧]. هذهِ مجموعةٌ مِنْ آراءِ النَّحوِيِّينَ الَّذينَ يذهبونَ إِلى أَنَّ (لا) لا تعملُ في المعارِفِ. وقدْ علَّلَ الزَّجَّاجيُّ (ت٣٤٠هـ)سببَ عدمِ

إعمالِها في معرِفةٍ؛ فقالَ: ((لأَنَّ (لا) إذا وقعتْ على معرفةٍ فلا بُـدَّ مِنْ تكريرِ الكلامِ))[٦٨]. وسنرى أَنَّ أَغلبَ الأَبياتِ الشِّعريَّةِ الْمُستشْهَدِ بها على إعمالِ (لا) متكرِّرةٌ، سواءٌ الدَّاخِلةُ على النَّكرةِ أَو الدَّاخلةُ على المعرفةِ. أَمَّا في إعمالِها في المعرفةِ فمذهبُ ابنِ جنِّي (ت٣٩٢هـ)؛ قال في تفسيرِهِ لبيتِ أَبي الطَّيبِ المتنبِّي (ت٣٥٤هـ):

إِذَا الجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلاَصًا فِي الأَذَى
فَلاَ الْحَمْدُ مَكْسُوبًا وَلاَ الْمَالُ بَاقِيَا

((شبَّهَ (لا) بـ(ليسَ) فنصبَ الخبر))[٦٩]. ومِنْ هذا النَّصِّ صارَ ابنُ جنِّي أَوَّلَ مَنْ ذهبَ هذا المذهبَ الْمُخالِفِ لِمَنْ سبقَهُ مِنَ النَّحوِيِّينَ، وأَسقطَ شرطَ وجوبِ دخولِ (لا) على النَّكِرةِ خاصَّةً؛ لهذا فهمَ النَّحوِيُّونَ رأْيَ ابنَ جنِّي على هذا النَّحوِ: ((ولم يعتبِرْ ابنُ جنِّي وطائفةٌ هذا الشَّرط، فأَجازُوا إعمالَها في المعارِفِ...))[٧٠]. وأَخذَ المانِعونَ في تأْويلِ هذا البيتِ والأَبياتِ الأُخرى المُتشابهةِ. فابنُ مالِكٍ اختلَفَ رأْيُهُ في تأْويلِ الأَبياتِ الَّتي دخلتْ فيها (لا) على معرِفةٍ مِنْ كتابٍ إلى كتابٍ آخرَ. فقدَّرَ قبلَ اسم (لا) المعرفةِ فعلاً، فيكونُ ذلكَ الاسمُ مرفوعًا بفعلٍ مُضمَرٍ، أَو أَنْ يكونَ الاسمُ المعرفةُ مُبتدأً والفعلُ الْمُقدَّرُ بعدَهُ هو خبرًا[٧١]. ويذهبُ في كتابٍ لهُ آخرَ أَنَّ عملَ (لا) في المعارِفِ نادِرٌ مِنْ دونِ أَيِّ تقديرٍ[٧٢]. وأَجازَ في مرَّةٍ رابِعةٍ القياسَ على إعمالِ (لا) بعدَ المعارِفِ[٧٣]. وثَمَّةَ رأْيٌ آخر يذهبُ فيهِ صاحِبُهُ إلى أَنَّ (لا) إذا دخلَتْ على المعرفةِ شُبِّهتْ بـ(ما)؛ يقولُ: ((نَعَمْ هي[٧٤] مُشبَّهةٌ

بـ(ليسَ) إذا وَلِيَتْها النَّكِرةُ، وهاهُنا وَلِيَتْها المعرفةُ[٧٥]، وإنَّما حُمِلَتْ -ها هُنا- (لا) على (ما) في دُخولِها على المعرفةِ لنفي الحالِ كما حُمِلتْ عليها في نفي الماضي الْمُقرَّبِ مِنَ الحالِ في قولِهِ تعالى: ﴿فَلَاصَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾[٧٦]))[٧٧].

هذهِ هي آراءُ النَّحوِيِّينَ في إعمالِ (لا) وعدمِ إعمالِها.

تحليلُ النُّصوصِ الخاصَّةِ بـ(لا):

سنتعرَّضُ لنصوصٍ ذهبَ عددٌ مِنَ الْمُفسِّرِينَ والنَّحوِيِّينَ إلى أَنَّ (لا) تعملُ فيها عملَ (ليسَ)، ونحلِّلُها ونُبيِّنُ الوجوهَ الإعرابيَّةَ لها، ونُناقِشُها كي نَعرِفَ حقيقتَها مِنْ خَلَلِ النَّصوصِ، بعدَ أَنْ دَرَسْناها نظريًّا. وهذا بيانُ ذلكَ:

أَوَّلاً- القرآنُ الكريمُ: لو طَلَبْنا الحقيقةَ، فإنَّ (لا) هذهِ لمْ تَرِدْ في القرآنِ الكريمِ أَو في قراءاتِهِ كافَّةً، وكلُّ ما وردَ إعرابُهُ في كلامِ الْمُفسِّرِينَ والنَّحويينَ الْمُتأَخِّرينَ، إنَّما هو تخريجٌ ضعيفٌ، لا يرقى إلى درجةِ التَّخريجاتِ الأُخرى للمُفسِّرينَ المتقدِّمين وكثيرٍ مِنَ النَّحوِيِّينَ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ؛ لأَسبابٍ سنُفصِّلُ القولَ فيها بعدَ قليلٍ. على أَنَّنا مُطْمَئِنُّونَ أَنَّها لمْ تَرِدْ في القرآنِ الكريمِ للأَدلَّةِ العقليَّةِ والنَّقليَّةِ والدِّلاليَّةِ الَّتي سنذكُرُها معَ كُلِّ آيةٍ كريمةٍ[٧٨]:

● قال تعالى: ﴿فَلَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٧٩]. ذهبَ ابنُ عطيَّةَ (ت٥٤٦هـ) إلى أَنَّ (لا) في الآيةِ الكريمةِ نافيةٌ عاملةٌ عملَ (ليسَ)، قالَ: ((...و(لا) في قراءةِ الرَّفْعِ عامِلةٌ عملَ (ليسَ)))[٨٠]. وقد ردَّ أَبو حيَّان الأَندلُسيُّ على تخريجِ ابنِ عطيَّة فقالَ: ((ولا يتعيَّنُ ما قالَهُ بلِ الأَوْلَى أَنْ يكونَ مرفوعًا

بالابتداءِ لوجهينِ: أَحدُها: أَنَّ إِعمالَ (لا) عملَ (ليسَ) قليلٌ جدًّا، ويمكنُ النِّزاعُ في صحَّتِهِ، وإِنْ صحَّ فيمكنُ النِّزاعُ في اقتباسِهِ. والثَّاني: حصولُ التَّعادلِ بينهُما، إِذ تكونُ (لا) قدْ دخلَتْ في كِلتا الجُملتَيْنِ على مُبتدإٍ ولمْ تعملْ فيهما))[٨١]. وحسنًا فعلَ أَبو حيَّانَ عندما ردَّ تخريجَ ابنِ عطيَّة، وهو تخريجٌ لم نجدْهُ في كُتُبِ التَّفسيرِ والنَّحوِ الَّتي عُدْنا إِليها. وعلى هذا يكونُ إِعرابُ الآيةِ الكريمةِ: (لا): نافيةٌ غيرُ عامِلةٍ، (خوفٌ): مبتدأٌ مرفوعٌ، والَّذي ساغَ الابتداءُ بالنَّكرةِ تقدُّمُ النَّفي، و(عليهم) جارٌ ومجرورٌ مُتعلِّقٌ بمحذوف في محل رفع مبتدإٍ.

● وقالَ تعالَى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٨٢]. اختلَفَ القُرَّاءُ في فتحِ الرَّاءِ ((وَلاَ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ)) وضمِّها، ((فقرأَ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وأَبو عَمْرٍو وعاصِمٌ وابنُ عامرٍ والكِسائيُّ بفتحِ الرَّاءِ فيهِما، وقرأَ حمزةُ وحدَهُ: بضمِّ الرَّاءِ فيهِما))[٨٣]. وأَضافَ الجَزَريُّ (ت٨٣٣هـ): ((فقرأَ يعقوبُ وحمزةُ وخلَفٌ برفعِ الرَّاءِ فيهِما وقرأَ الباقونَ بالنَّصْبِ))[٨٤]. وقد وردَتِ القراءتانِ في غيرِ كِتابٍ مِنْ كُتُبِ القِراءاتِ[٨٥]. ولو عُدْنا إِلى الْمُفسِّرِينَ، ومَنْ اهتمَّ منهم بتخريجِ القراءاتِ على وجوهِها وإِعرابِها، فإِنَّنا لا نعثُرُ على تخريجٍ مِنَ الْمُتقدِّمينَ بخاصَّةٍ، يُذكرُ فيهِ أَنَّ (لا) هذهِ عاملةٌ عملَ (ليسَ). قالَ الطَّبَريُّ (ت ٣١٠هـ): (واختلَفَ القُرَّاءُ في قراءةِ قولِهِ: ((وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ))، فقرأَ ذلكَ عامَّةُ القُرَّاءِ بفتحِ الرَّاءِ مِنْ ((أَصْغَرَ)) و((أَكْبَرَ))؛

لأَنَّ معناها الخفضُ عطفًا بالأَصغرِ على الذَّرةِ وبالأَكثرِ على الأَصغرِ، ثُمَّ فُتِحتْ راؤهُما لأَنَّهُما لا يَجْرِيانِ[٨٦]. وقرأَ بعضُ الكوفيِّينَ[٨٧]: ((وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ)) رفعًا، عطفًا بذلكَ على معنى المثقال؛ لأَنَّ معناهُ الرَّفعُ. وذلكَ أَنَّ ((مِنْ)) لو أُلْقِيتْ مِنَ الكلامِ لَرُفِعَ المثقالُ، وكانَ الكلامُ حينئذٍ: ((وما يعزُبُ عن ربِّكَ مثقالُ ذرَّةٍ ولا أَصغرُ مِنْ مثقالِ ذرَّةٍ ولا أَكبرُ))[٨٨]. نفقهُ مِن النَّصِّ المطوَّلِ هذا أَنَّ قراءةَ النَّصبِ بالعطفِ على (ذرَّةٍ) مجرورٌ وعلامةُ جرِّهِ الكسرةُ بدلاً مِنَ الفتحةِ؛ لأَنَّهُ ممنوعٌ مِنَ الصَّرفِ، وأَسبابُ المنعِ هو وزنُ الفعلِ والوصفِ[٨٩]. ثُمَّ عُطِفَتْ (وَلا أَكْبَرَ) على (أَصْغَرَ). وقراءةُ الرَّفعِ بالعطفِ على موضعِ (مثقالٍ)؛ لأَنَّ (مِنْ) زائدةٌ، فترفعُ (مِثْقَال) على أَنَّها فاعلٌ للفعلِ ((يَعْزُبُ))[٩٠]. وللزَّمخشريِّ (ت٥٣٨هـ) تخريجٌ آخرُ؛ قالَ: ((القراءةُ بالنَّصبِ والرَّفعِ، والوجْهُ النَّصبُ على نفي الجنسِ، والرَّفعُ على الابتداءِ ليكونَ كلامًا عامًّا برأْسِهِ...))[٩١]. ومعَ هذا فإِنَّ السُّيوطيَّ يرى أَنَّ قراءةَ الرَّفعِ على إِعمالِ (لا) عملَ (ليسَ)؛ قالَ: ((...أَنَّ (لا) تعملُ عملَ (ليسَ)، نحو: ((وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)).))[٩٢]. ومِنْ خَلَلِ ما عرضنا مِنْ تخريجِ الْمُفسِّرِينَ والنَّحوِيِّينَ لقراءةِ النَّصبِ وقراءةِ الرَّفعِ، لمْ نرَ وجْهَ تخريجٍ على أَنَّ (لا) عاملةٌ عملَ (ليسَ) إِلاَّ عندَ بعضِ الْمُتأَخِّرِينَ، وهو السُّيوطيُّ؛ لذا قالَ الإِمامُ البيضاويُّ (ت٧٩١هـ): في قراءةِ الرَّفعِ ((وقراءةُ حمزةَ ويعقوبَ بالرَّفعِ على الابتداء والخبرِ...))[٩٣]. وهو إِعرابُها الصَّحيح.

● وقالَ تعالَى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾[٩٤]. قال ابنُ عطيَّةَ: ((وقرأَ ابنُ عبَّاس، وابنُ مسعود، وعكرمة، وعطاءُ بن أَبي رباح، وأَبو جعفر، ومحمَّدُ بنُ عليٍّ، وجعفرُ بنُ محمَّد: ((وَالشَّمْسُ تَجْرِي لا مُسْتَقَرَّ لَهَا)).))[٩٥] وهذهِ القراءةُ بنصبِ (لا مُسْتَقَرَّ). وفيها قراءةٌ أُخرى بالرَّفعِ عن ابن أَبي عبلة (لا مُسْتَقَرٌّ)[٩٦]. وقيلَ إِنَّ قراءةَ النَّصبِ على أَنَّ (لا) نافية للجنسِ، وقراءةُ الرَّفعِ على أَنَّها عاملة عمل (ليسَ). قالَ السَّمينُ الحلبيُّ ((وقرأَ....(لا مُسْتَقَرَّ) بلا نافية للجنسِ.... و(لا مُسْتَقَرٌّ) بلا العاملة عمل ليسَ))[٩٧]. والحقُّ أَنَّنا يمكنُ أَنْ نُعربَ (مُسْتَقَرٌّ) مبتدأً و(لَهَا) جارٌّ ومجرورٌ مُتعلِّقٌ بمحذوف في محلِّ رفع خبر، حالُها مثلُ حالِ القراءاتِ الَّتي درسناها آنفًا. ومهما يكنْ مِنْ شيءٍ فإِنَّنا نجدُ خلافًا في قراءة الرَّفعِ والتَّنوينِ؛ قالَ ابنُ خالويهِ (ت٣٧٠هـ): ((...ويُقرَأُ بالرَّفعِ والتَّنوينِ على حُكْمِ (ليسَ) أَو على الإِلغاءِ))[٩٨]. هنا فتحَ ابنُ خالويهِ -رحِمَهُ اللَّهُ- بابَ فْهمِ هذهِ القراءة؛ لأَنَّه عَرفَ أَنَّه يُمكنُ أَنْ تكونَ (لا) غيرَ عاملةٍ؛ في قولِهِ ((أَو على الإِلغاءِ)). السَّببُ في قولِنا إِنَّهُ بهذهِ العبارةِ فتحَ بابَ فَهْمِ معنى القراءةِ؛ لأَنَّ النَّحويِّينَ صرَّحُوا غيرَ مرَّةٍ أَنَّ (لا) النَّافية للجنسِ تنفي جنسَ الشيءِ، فعندما نقولُ: لا طالِبَ في المدرسةِ، فإِنَّ ذلكَ يعني عدمَ وجودِ جنس أَيِّ طالِبٍ في المدرسةِ. ولكنَّنا لو قُلْنا: لا طالِبٌ في المدرسةِ، فهذا يعني أَنَّه لا يوجَدُ طالِبٌ في المدرسةِ، ويمكنُ أَنْ يكونَ هناكَ طالِبانِ أَو أَكثر. قالَ الإِمامُ العُكبريُّ: ((...أَلا ترى أَنَّكَ تقولُ: لا رجلَ في الدارِ،

فتنفي الواحِدَ وما زادَ عليهِ، فإذا قُلْتَ: لا رجلٌ في الدَّارِ، فرفعْتَ ونوَّنْتَ نفَيتَ الواحِدَ ولمْ تنفِ ما زادَ عليهِ؛ إذ يجوزُ أَنْ يكونَ فيها اثنانِ أَو أَكثر))[٩٩]. والآنَ لنُطبِّقَ هذا الكلامَ على معنى القراءةِ في حالةِ الرَّفعِ والتَّنوينِ، فهلْ يجوزُ أَنْ يكونَ معنى االقراءةِ: ((وَالشَّمْسُ تَجْرِي لاَ مُسْتَقَرٌّ لَهَا))؛ إنَّ الشَّمسَ تجري ليسَ لِمُستَقَرٍّ واحِدٍ وإِنَّما لأَكثرَ مِنْ مُستَقَرٍّ رُبّما اثنانِ أَو ثلاثة أَو أَكثر؟!. هذا يُخالِفُ معنى القراءةِ ودلالتها. ومِنْ خَلَلِ المعنى نعرفُ أَنَّ (لا) هنا لا يمكنُ أَنْ تكونَ عاملةً عملَ (ليسَ) وإِنَّما هي نافيةٌ غيرُ عاملةٍ كما بيَّنَّا في إِعرابِها.

● وقالَ تعالَى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ﴾[١٠٠]. ((قرأَ أَبو الشَّعثاءِ: (لا رَيْبٌ فِيهِ) بالرَّفعِ))[١٠١]. وقدْ ذكرَ العُكبريُّ تخريجَيْنِ لهذهِ القراءةِ، قالَ: ((وقُرِئَ بالرَّفعِ والتَّنوينِ، وفيهِ وجهانِ: أَحَدُهُما: أَنْ يعملَ (لا) عملَ (ليسَ)، ويجعلَ الخبرَ ((فِيهِ))... والوجهُ الثَّاني: أَنْ يكونَ أَلْغى لا، وهو القياسُ فيها، و((لا رَيْبٌ)) مبتدأٌ و((فِيهِ)) الخبرُ))[١٠٢]. نرى أَنَّ العُكبريَّ يذهبُ إِلى أَنَّ القياسَ هو إِلغاءُ عملِ (لا) وإِهمالُها. وقالَ في هذا المعنى أَبو حيَّان: ((وحَمْلُ (لا) في قراءةِ ((لا رَيْبٌ)) على أَنَّها تعملُ عملَ (ليسَ) ضعيفٌ لقلَّةِ إِعمالِ (لا) عملَ (ليسَ).))[١٠٣]. وما قُلْناهُ عنِ القراءةِ السَّابقةِ ينطبقُ على هذهِ القراءةِ أَيضًا في الإِعرابِ والدَّلالةِ.

ثانيًا: الشَّواهِدُ الشِّعريَّةُ: بَحَثْنا عنِ الشَّواهِدِ الشِّعريَّةِ الَّتي يُحْتَجُّ بها على إِعمالِ (لا) عملَ (ليسَ)، ولمْ نستطع العُثُورَ إِلاَّ على عشرةِ أَبياتٍ، كَثُرَ

دورانُها في كُتُبِ التَّفسيرِ والنَّحوِ والأَدبِ. وبعدَ طُولِ نظرٍ فيها تبيَّنَ للباحثِ أَنَّها يُمكنُ أَنْ تُقسَّمَ إِلى أَربع فِئاتٍ، نذكُرُها ثُمَّ نُناقِشُها[١٠٤]:

الفئةُ الأُولى

١ـ تَعَزَّ فَلاَ شَيْءٌ عَلَى الأَرْضِ بَاقِيَا لاَ وَزَرٌ مِمَّا قَضَى اللَّهُ وَاقِيَا

٢ـ وَحَلَّتْ سَوَادَ القَلْبِ لاَ أَنَا بَاغِيًا سِوَاهَا وَلاَ عَنْ حُبِّهَا مُتَرَاخِيا

٣ـ إِذَا الجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلاَصًا فِي الأَذَى

فَلاَ الحَمْدُ مَكْسُوبًا وَلاَ الْمَالُ بَاقِيَا

٤ـ أَنْكَرْتُهَا بَعْدَ أَعْوَامٍ مَضَيْنَ لَهَا لاَ الدَّارُ دَاراً وَلاَ الجِيْرَانُ جِيرَانَا

٥ـ يُؤَلَّلُ عُصْلاً لاَ بُنَاهُنَّ هَيْنَةً ضِعَافًا وَلاَ أَطْرَافُهُنَّ نَوَايِيَا

الفِئَةُ الثَّانِيةُ

٦ـ فَكُنْ لِي شَفِيْعًا يَوْمَ لاَ ذُوْ شَفَاعَةٍ بِمُغْنٍ فَتِيْلاً عَنْ سَوَادِ بنِ قَارِبِ

الفِئَةُ الثَّالِثَةُ

٧ـ مَنْ صَدَّ عَنْ نِيْرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لاَ بَرَاحُ

٨ـ بِيَ الجَحِيْمَ حِيْنَ لاَ مُسْتَصْرَخُ

٩ـ وَلَقَدْ أَكُوْنُ مِنْ الفَتَاةِ بِمَنْزِلٍ

فَأَبِيْتُ لاَ حَرِجٌ وَلاَ مَحْرُومُ

الفِئَةُ الرَّابِعَةُ

١٠ـ نَصَرْتُكَ إِذْ لاَ صَاحِبٌ غَيْرَ خَاذِلٍ فَبُوِّئتَ حِصْنًا بِالكُمَاةِ حَصِيْنَا

الْمُلاَحَظَاتُ على أَبياتِ الفِئَةِ الأُولَى

١- تكـرَّرَتْ (لا) في أَبيـاتِ الفئـةِ الأُولى جميعًـا، علـى الـرَّغْمِ مِـنْ أَنَّ تكرارَها غيرُ مُباحٍ، وبحسبِ الشُّروطِ الَّتي ذكرْناها آنِفًا. فَتَكْرَارُها يعني أَنَّها ليستْ عاملةً، وهذا -كما نقلْنا- رأْيُ النَّحويِّينَ أَنْفُسِهِم. والغريبُ أَنَّها تكرَّرَتْ عندَ دخولِها على النَّكرةِ والمعرفةِ على حدٍّ سواء.

٢- يذكرُ سيبويهِ -كما رأَيْنا- وكلُّ النَّحويِّينَ الَّذينَ يذهبونَ إِلى أَنَّ (لا) تعملُ عملَ (ليسَ)، شرْطَ دُخولِها على النَّكرةِ، فإِذا دخلَتْ على المعرِفةِ فلا عملَ لها. والحقُّ أَنَّ الأَبيات الخمسة في هذهِ الفِئةِ لم تدخُلْ (لا) على نكرةٍ إِلاَّ في بيتٍ واحِدٍ يتيمٍ هوَ الشَّاهِدُ الأَوَّلُ، أَمَّا الشَّواهِدُ الباقيةُ فدخلَتْ (لا) على معرفةٍ. فمتى كانَ الشَّاذُّ والنَّادِرُ والقليلُ في أُصولِ النَّحو أَكثرَ مِنَ القاعِدةِ العامَّةِ؟! هذا لمْ يحصلْ في أُمَّاتِ دروسِ النَّحوِ وأُصولِهِ.

٣- ثلاثةٌ مِنْ هذهِ الأَبياتِ الخمسةِ لا يُعْرَفُ لها قائلٌ كما خرَّجْناها في الهوامِشِ السَّابقةِ، وبيتٌ للمتنبِّي؛ وهو خارجُ زمانِ الاستشهادِ، ولُحِّنَ مِنْ بعضِ شُرَّاحِ ديوانِهِ[١٠٥]. وبيتٌ للنَّابغةِ الجَعديِّ. وعلى قواعِدِ الاستشهادِ بالأَبياتِ الشِّعريَّة في أُصولِ النَّحو، فإِنَّ ما يُمكنُ لنا الاستشهادُ بشعرِهِ مِنْ هذهِ الأَبياتِ هو بيتٌ واحدٌ للنابِغةِ الجَعديِّ، والأَخير أَدخلَ (لا) على المعرفةِ، فأَفقدَها أَهمَّ شرطٍ للاستشهادِ بها. وبذا تسقُطُ حُجَّةُ الاستشهادِ بهذهِ الأَبياتِ الخمسةِ.

٤- وعلينا الآنَ أَنْ نعرِفَ ما هو إِعرابُ الاسمِ المنصوبِ بعدَ (لا)؟ والجوابُ هوَ (حالٌ) منصوبةٌ ؛ لأَنَّ كُلَّ أَماراتِ الحالِ مُتوافِرةٌ في هذا الاسمِ المنصوب. فلو تأَمَّلْنا الأَبياتَ الشِّعريَّةَ لرأَيْنا أَنَّ ما بعدَ (لا) ليسَ جملةً متكوِّنةً مِنْ مُبتدإٍ وخبرٍ، فالشَّاعِرُ لا يُريدُ أَنْ يُخبِرَنا أَنَّ (شيءٌ باقٍ) ولا (وَزَرٌ واقٍ) كما في البيتِ الأَوَّلِ. وكذلكَ لا يُريدُ الشَّاعرُ في البيتِ الثَّاني أَنْ يُخبِرنا أَنَّهُ باغٍ، أَو أَنْ يُخبرَنا الشَّاعرُ في البيتِ الثَّالِثِ (الحمدُ مكسوبٌ) و (المالُ باقٍ). وكذا في الأَبياتِ الأُخرى. وإِنَّما يُريدُ الشُّعراءُ أَنْ يُبَيِّنُوا حال الشيءِ الباقي، وحال الوَزَرِ الواقي، وحال الحمدِ المكسوبِ، وحال المالِ الباقي. لهذا جاءتْ الكلمةُ منصوبةً ؛ إِذ لا يُعقلُ أَنْ يُخبرَنا الشَّاعِرُ -مثلاً- أَنَّ الحمدَ ليسَ مكسوبًا والمالُ ليسَ باقيًا إِذا الجودُ لم يُرزقُ خلاصًا مِنَ الأَذى، وإِنَّما يريدُ أَنْ يقولَ أَنَّ حالَ الحمدِ ليسَ مكسوبًا، والمال ليسَ باقيًا في حالِ إِذا لمْ يُرْزَقْ خلاصًا مِنَ الأَذى. وهكذا بالنِّسبةِ للبيتِ الرَّابعِ مثلاً ؛ فالشَّاعِرُ يريدُ أَنْ يُبيِّنَ فيهِ أَنَّ البُعْدَ عنِ دارِ الحبيبةِ بعدَ أَعوامٍ كثيرةٍ لمْ يعرفْها ولمْ يَعرِفِ الجِيرانَ، وهذهِ حالُهُ عندَ غيابِهِ. والأَبياتُ الأُخرى تبغي هذا التَّخريج أَيضًا. والحقُّ أَنَّنا لو أَردْنا أَنْ نُعْرِبَ الاسمَ المنصوبَ بعدَ (لا) حالاً، فلا بُدَّ لهُ مِنْ صاحبٍ، وصاحبُ الحالِ هنا هوَ الْمُبتدأُ، ووقُوعُ صاحبِ الحالِ مبتدأٌ كثيرٌ في العربيَّةِ[١٠٦] مثلُ قولِنا: الطَّالبُ ناجِحًا، والنَّصُّ مُحقَّقًا، والجوُّ جميلاً. ثُمَّ صاحِبُ الحالِ يجبُ أَنْ يكونَ معرفةً[١٠٧]. والَّذي ساغَ أَنْ يكونَ نكرةً هوَ الابتداءُ بالنَّفي ؛

ومسوَّغاتُ الابتداءِ بالنَكرةِ في موضوعِ الْمُبتدإِ والخبرِ هي عينُها في موضوعِ الحالِ[١٠٨]. وهذا الَّذي حدثَ في هذهِ الأَبيات. إِذن نَصْبُ الاسمِ بعدَ (لا) لمْ يأْتِ مِنْ جرَّائها، وإِنَّما النَّصبُ موجودٌ قبلَ دخولِ (لا)، وبقيَ أَيضًا بوجودِها. فلو أَردْنا أَنْ ننفِيَ قولَنا: النَّصُّ مُحقَّقًا، لقُلْنا: لا النَّصُّ مُحقَّقًا أَو لا نصٌّ مُحقَّقًا، بالتَّعريفِ والتَّنكير. وهذا الَّذي حدثَ في هذهِ الأَبياتِ حقًّا.

المُلاحظاتُ على بيتِ الفِئَةِ الثَّانية

وفيهِ بيتٌ واحِدٌ لسَوادِ بنِ قارِب يمدحُ الرَّسولَ مُحمَّدًا ﷺ. ويَعُدُّ النَّحاةُ (الباءَ) زائدةً، و(مُغْنٍ): اسمٌ مجرورٌ لفظًا ومنصوبٌ محلاًّ على أَنَّهُ خبرُ (لا). و(فتيلاً): مفعولٌ بهِ للاسمِ الْمُشتقِّ (مُغْنٍ). فيكونُ المدحُ: (لا ذو شَفاعةٍ مُغْنِيًا)[١٠٩]. ويرى الباحِثُ أَنَّ المدحَ لا يستقيمُ تمامَ الاستقامةِ على هذا التَّخريجِ، وبهذا الإِعرابِ. والصَّحيحُ أنَّ (الباءَ) ليسَ حرفَ جرٍّ زائدٍ؛ وإِنَّما هو حرفُ جرٍّ أَصليٍّ، و(مُغْنٍ) اسمٌ مجرورٌ وعلامةُ جرِّهِ الكسرةُ الظَّاهرةُ على آخِرِهِ. ثُمَّ إِنَّ الجارَّ والمجرورَ مُتعلِّقٌ بمحذوفٍ تقديرُهُ (كائنًا)؛ أَي في محلِّ نصبٍ على (الحال). فيكونُ المعنى: فكُنْ يا رسولَ اللَّهِ شفيعًا لي، يومَ لا صاحبُ شفاعةٍ كائنًا غيرَكَ.

والحقُّ أَنَّ لتخريجِنا هذا وجْهٌ في العربيَّةِ. ففي مِثلِ قولِنا: زيدٌ في المدرسةِ مُجْتَهِدٌ. تكونُ شبهُ الجملةِ (في المدرسةِ) مُتعلِّقةً بمحذوفٍ في محلِّ نصب (حال)، تقديرُهُ: (كائنًا أَو موجُودًا)[١١٠].

والْمُلاحظةُ الثَّانيةُ على هذا البيتِ، أَنَّ (لا) دخلتْ هُنا أَيضًا على معرفةٍ، وهذا يُخالِفُ شرطًا مِنْ شروطِ إِعمالِها، في كونِها لا تدخُلُ إِلاَّ على نكرةٍ، وكما بسطْنا القولَ فيهِ غيرَ مرَّةٍ. إِذن هذا الشَّاهِدُ أَيضًا لا يختلِفُ عن شواهِدِ الفِئَةِ الأُولَى في كونِ الاسمِ المنصوبِ بعدَ (لا) حالاً وليسَ خبرًا. وإِنَّ نصبَ الخبرِ لمْ يأْتِ مِنْ جرَّاءِ (لا)، بل الاسمُ منصوبٌ، يبقى كذلكَ بوجودِها أَو عدمِ وجودِها كما فصَّلْنا القولَ في ذلِكَ.

الْمُلاحظاتُ على أَبياتِ الفِئَةِ الثَّالِثةِ

وهذهِ الفِئةُ تتميَّزُ بأَنَّها تتكوَّنُ مِنْ (لا) متلوَّةً باسمِ نكرةٍ مرفوعًا، وليسَ فيها اسمٌ منصوبٌ مثلَ ما رأَيْنا في الفِئَتَيْنِ السَّابقَتَيْنِ. وهذا يعني أَنَّهُ لا يوجَدُ اسمٌ منصوبٌ لها. وقدْ اختلفَ النَّحويُّونَ في إِعرابِ الاسمِ المرفوعِ بعدَ (لا)، لعلَّ أَشهرَها:

١- أَنَّ الاسمَ بعدَ (لا) يُعرَبُ اسمَ (لا) العامِلة عملَ (ليس)، وخبرُهُ محذوفٌ تقديرُهُ كما في الأَبياتِ: لا براحُ لي[١١١]. ونُسِبَ هذا الرَّأْيُ إِلى سيبويه[١١٢].

٢- أَنَّ (لا) نافيةٌ غيرُ عامِلةٍ، والاسمُ بعدَها مُبتدأٌ، وخبرُهُ محذوفٌ تقديرُهُ: (لا براحُ لي)[١١٣]. ونُسِبَ هذا الرَّأْيُ إِلى أَبي العبَّاس الْمُبرِّد[١١٤].

٣- يرى المرزوقيُّ أَنَّ ((الوجهَ فيهِ النَّصبُ، ولكنَّ الضَّرورةَ دعتْهُ إِلى رفعها))[١١٥].

٤- وذهبَ فريقٌ آخر إلى أَنَّهُ لا شاهِدَ في هذهِ الأَبياتِ؛ لجوازِ أَنْ يكونَ الاسمُ المرفوعُ مبتدأً. قالَ العينيُّ (ت٨٥٥هـ): ((...وَرُدَّ بأَنَّ (لا) الدَّاخِلَةِ على الجُمَلِ الاسميَّةِ يجبُ إِمَّا إِعمالُها أَو تكرارُها، فلمَّا لمْ تَتَكَرَّرْ عُلِمَ أَنَّها غيرُ عامِلةٍ. وأُجيبُ بأَنَّ هذا شعرٌ والشِّعرُ يجوزُ فيهِ أَنْ تردَّ غيرَ عاملةٍ ولا مُكرَّرةً))[١١٦]. ويرى الباحِثُ أَنَّ الرأْيَ الثَّاني هو الصحيحُ؛ لأَنَّهُ خالٍ مِنَ التَّقديرِ أَوَّلاً، والآخرُ أَنَّ مسأَلةَ الابتداءِ واضحةٌ في الأَبياتِ في المعنى واللَّفظِ. وخيرُ نقدٍ يُوجَّهُ إِلى مَنْ ذهبَ إِلى أَنَّ (لا) في هذهِ الأَبيات عاملةٌ عملَ (ليسَ)، هو عدمُ وجودِ اسمٍ منصوبٍ بعدها، وهذا يفتحُ الأَبوابَ على الاحتمالاتِ كافَّةً مِنْ دونِ تفضيلِ رأَي على رأْي آخرَ.

الملاحظاتُ على بيتِ الفِئَةِ الرَّابِعةِ

اخترْنا أَنْ يكونَ هذا البيتُ في فئةٍ خاصَّةٍ بهِ؛ لما في كلمةِ (غير) مِنْ إِشكالٍ في معناها. إِذ تأْتي (غيرُ) في الأَصلِ بمعنى الْمُغايرةِ، وعلى المُخالفةِ، ففي قولِنا: ((بعدَ أَنْ عاتبتُهُ قابلَني بوجهٍ غير الَّذي أَعرِفُهُ، فحقيقةُ الوجهِ لمْ يتغيَّرْ، وإِنَّما الَّذي تغيَّرَ صفته، مِنَ البشاشةِ إِلى العبوسِ))[١١٧]. و(غيرُ) في الأَصلِ مِنَ الأَلفاظِ الموغِلَةِ في الإِبهامِ، وتبقى نكرةً وإِنْ أُضيفتْ إِلى ما بعدها[١١٨].

وأَعربَ النَّحويُّونَ (غير) في البيتِ الَّذي نُناقِشُهُ خبرًا منصوبًا بـ(لا) العاملة عمل (ليسَ). وقد استبعد الدُّسُوقِيُّ أَنْ تكونَ (غير) خبرًا، قالَ: ((...فلا

دليلٌ فيهِ -كما توهَّمَ بعضُهم- لاحتمالِ أَنْ يكونَ الخبرُ محذوفًا، و(غير) استثناء))[١١٩].

ولو أَردنا أَنْ نفهمَ معنى البيتِ على ما أَرادَهُ الشَّاعرُ؛ فلا يمكنُ أَنْ تكونَ (غيرُ) خبرًا للمبتدإِ (صاحِب). فقولُهُ: (صاحبٌ غيرُ خاذلٍ)، معناهُ صاحِبٌ ليسَ خاذلاً، فمعنى (غير) هو النَّفي. ولكنْ لو أَضفْنا قبلَها (لا) فإِنَّ (غير) لن تبقى على معنى النَّفي؛ لأَنَّهُ لا معنى لقولِنا: (لا صاحِبٌ لا خاذِلٌ)؛ لذا فإِنَّ معنى البيتِ سيستقيمُ لو فسَّرناهُ على أَنَّ الشَّاعرَ يقول: إِنَّني أَنصرُكَ في حالِ خَذَلَكَ الأَصحابُ في الحربِ. فأَنا مُتسَرْبِلٌ بكثيرٍ مِنَ الأَسلحةِ، وحصنُكَ الحصينُ. وعلى هذا فإِنَّ (غير) منصوبةٌ على الحالِ، وصاحِبُ الحالِ هو (صاحبٌ) المبتدأُ والخبرُ محذوفٌ.

والحقُّ أَنَّ (غير) وقعتْ منصوبةً على الحالِ في نصوصٍ كثيرةٍ، قالَ تعالَى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾[١٢٠]. وقولُهُ جلَّ جلالُهُ: ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾[١٢١].

وبذا نستنتجُ أَنَّ الشَّواهِدَ الشِّعريَّةَ الَّتي احتجَّ بها النَّحويُّونَ على عملِ (لا) عملَ ليسَ تُخالِفُ الشُّروطَ الَّتي وضعُوها لها. مثل: أَلاَّ تدخلُ (لا) على معرفةٍ، ويجبُ أَلاَّ تتكرَّرَ أَثناءَ العملِ، ورأَيْنا أَنَّها كانتْ مُكرَّرَةً في الأَعمِّ الأَغلبِ مِن الأَبياتِ الَّتي استشهدوا بها. لذا استشففنا أَنْ يكونَ إِعرابُ (لا) وما بعدَها في هذهِ الأَبياتِ في شكلينِ:

١- إذا دخلَتْ (لا) على اسمٍ مرفوعٍ وآخرَ منصوبٍ فإنَّ ذلكَ الاسمَ المنصوبَ يصلحُ أَنْ يكونَ حالاً منصوبةً.

٢- وإذا دخلَتْ على اسمٍ مرفوعٍ فقط، ولمْ يأتِ بعدَ ذلكَ الاسمِ المرفوعِ اسمًا منصوبًا، فإنَّ الاسمَ المرفوع يكونُ إعرابُهُ مبتدأً وخبرُهُ محذوفٌ يُقدَّرُ حسبَ موقِعِهِ مِنَ الجُملةِ.

الخاتِمةُ

بعد أَنْ دَرَسْنا (لا) الْمُشبَّهةَ بـ(ليسَ) مِنْ الجانبَيْنِ: النَّظريِّ والتَّطبيقيِّ نُجمِلُ هُنا استنتاجاتِنا، وهي:

١. إنَّ (لا) لا تعملُ عملَ (ليسَ)، وقد شكَّكَ في عملِها القُدامى مِنَ الْمُفسِّرِينَ والنَّحوِيِّينَ، والأَدلَّةُ الَّتي جمعتُها في ذلكَ، هي:

- ذهابُ كثيرٍ مِنَ النَّحوِيِّينَ إلى أَنَّ عملَها قليلٌ ولا يكادُ يُذْكَرُ.
- أَكَّدَ الزَّجَّاجُ، وتبعهُ الاستراباديُّ -وهما مِنْ كُبَّارِ النَّحوِيِّينَ- على أَنَّهما لمْ يظفرَا بخبَرِها منصوبًا في النُّصوصِ الَّتي وردتْ فيها (لا). وهذا يعني أَنَّهُما لا يَعُدَّانِ الاسمَ المنصوبَ بعدها خبرًا.
- ذهبَ كُلُّ النَّحوِيِّينَ الْمُتقدِّمِينَ، وأَغلب الْمُتأَخرِينَ مِنَ الَّذينَ يؤمنونَ أَنَّ (لا) عاملةٌ عملَ (ليسَ) وعلى رأْسهم سيبويهِ؛ أَنَّ مِنْ أَهمِّ شروطِ (لا) العاملة هو أَنَّها لا تعملُ في المعارف، وإذا دخلتْ عليها فتكونُ غيرَ عاملةٍ، وقد وجدْنا أَنَّ أَغلبَ الشَّواهِدِ الشِّعريَّةِ الَّتي استشهدُوا بها كانتْ (لا) داخِلةً فيها على المعارِفِ.

- إِنَّ الشَّواهِدَ الَّتي احتجَّ بها النَّحوِيُّونَ قليلةٌ، وهي في محلِّ شكٍّ -كما رأَينا- وهي أَيضًا على هذا لا تُمثِّلُ قاعدةً نحويَّةً عامَّةً؛ لذا قالَ السُّيوطيُّ: ((البيتُ والبيتانِ لا تُبنى عليها قاعدةٌ))[١٢٢]. ثُمَّ إِذا وضعْنا قاعدةً لـ(لا) هذهِ، فلماذا لا نضعُ قاعدةً خاصَّةً بـ(ما خلا) و(ما عدا) عندَ ورُودِهِما في أَبياتٍ شعريَّةٍ حرفا جرٍّ على الرَّغمِ مِنْ كونِهما مسبوقَيْنِ بـ(ما) المصدريَّة؟!. ولماذا لا نضعُ قاعدةً خاصَّةً بـ(لاتَ) عندما وجدَها النَّحوِيُّونَ حرفَ جرٍّ في عددٍ مِنَ الشواهِدِ الشِّعريَّةِ، وغير ذلك.
- كَثرَةُ شروطِها إِذا كانتْ عاملةً، وهذهِ الكَثرةُ جعلتْها في محلِّ شكٍّ.
- لمْ ترِدْ (لا) هذهِ في القُرآنِ الكريمِ عاملةً عملَ (ليسَ)، أَو في قراءةٍ. وكُلُّ ما وردَ مِنْ تخريجٍ على لسانِ المفسِّرينَ أَو النَّحويينَ فهو تخريجٌ ضعيفٌ، أَنكرَهُ كثيرٌ مِنَ النَّحوِيِّينَ والْمُفسِّرِينَ قبلَ غيرِهم. على أَنَّنا لمْ نجدْ في القرونِ الخمسة الهجريَّةِ الأُولى مَنْ أَعربَ (لا) في القرآنِ الكريمِ عامِلةً عملَ (ليسَ)؛ وإِنَّما هي مِنْ تخريجاتِ الْمُفسِّرِينَ الْمُتأَخِّرِينَ.

٢. في إِعرابِ (لا) شكلانِ، هما:

- إِذا جاءَ بعدَها اسمٌ مرفوعٌ مِنْ دونِ اسمٍ منصوبٍ، كانتْ (لا) غيرَ عامِلةٍ، والاسمُ المرفوعُ بعدَها مبتدأٌ مرفوعٌ لخبرٍ محذوفٍ مُقدَّرٌ حسبَ موقِعِهِ مِنَ الجملةِ.

- إذا جاءَ بعدها اسمٌ مرفوعٌ بعدَهُ اسمٌ منصوبٌ، تُعرَبُ (لا) غيرَ عاملَةٍ، وبعدها الاسمُ المرفوعُ مبتدأً مرفوعًا، والاسمُ المنصوبُ حالاً منصوبةً، والخبرُ مُقدَّرٌ حسَبَ موقِعِهِ مِنَ الجُملَةِ.

٣. إنَّ (لا) لمْ تعملْ في الاسمِ أَو في الخبر، بل الاسمُ مرفوعٌ وما بعدَهُ منصوبٌ قبلَ دخولِ (لا)؛ وبأَدلَّةٍ كثيرةٍ ذكرْناها في بحثِنا هذا.

٤. (لا) هذهِ مُشبَّهةٌ بـ(ليسَ)؛ كونهُما يَدُلاَّنِ على النَّفي، وهذا هو التَّقريبُ الوحيدُ بينهُما.

واللَّهُ المستعانُ.

الهوامِشُ:

❖ جمهوريَّة العِراق- مُحافظة كركوك- عرفة الثَّانية / رقم الدَّار ١٣٣.

(١) يُنظرُ: **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، لجلال الدِّين السُّيوطيِّ (ت٩١١هـ)، تح: د. عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ١١٩/٢.

(٢) أَي: الشَّاعر.

(٣) **الكتاب** لأَبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويهِ) (ت١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السَّلام محمَّد هارون، ط٣، مطبعة المدنيِّ، مصر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ٥٨/١.

(٤) يُنظرُ: **المقتضب** لأَبي العباس محمّد بن يزيد المبرِّد (ت٢٨٥هـ)، تح: عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ٣٨٢/٤.

(٥) يُنظرُ: **الأُصول في النَّحو** لأَبي بكر محمَّد بن سهل بن السَّرَّاج (ت٣١٦هـ)، تح: د. عبد الحسين الفتلي، ط٣، مؤسَّسة الرِّسالة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ٣٩٨/١، ٤٠١. **الجمل في النَّحو** (كتاب)، لأَبي القاسم عبد الرَّحمن بن إِسحاق الزَّجاجيّ (ت٣٤٠هـ)، تح: د. علي توفيق الحمد، ط٤، مؤسَّسة الرِّسالة، دار الأَمل، بيروت وإِربد، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٢٣٧. **أَمالي**

ابن الشَّجري (ت٥٤٢هـ)، تح: د. محمود محمَّد الطَّنَّاحي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١/٤٣٠. **الأُزهية في علم الحروف** (كتاب) لعلي بن محمَّد النَّحويِّ الهرويِّ (ت٤١٥هـ)، تح: عبد المعين الملُّوحيّ، مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص١٦٩. **شرح المفصَّل**/التَّخمير، لصدر الأَفاضل الخوارزميّ (ت٦١٧هـ)، تح: د. عبد الرَّحمن بن سليمان العُثيمين، ط١، دار العبيكان، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ١/١٠٩. **شرح عمدة الحافظ وعُدَّة اللافظ** لجمال الدِّين محمَّد بن عبد اللَّه بن مالك (ت٦٧٢هـ)، تح: عدنان عبد الرَّحمن الدُّوريّ، مطبعة العانيّ، وزارة الأَوقاف، بغداد، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص٢١٥. **أَوضح المسالك إلى ألفيَّةِ ابن مالك** لجمال الدِّين محمَّد بن عبد اللَّه بن مالك (ت٦٧٢هـ)، تح: عدنان عبد الرَّحمن الدُّوريّ، مطبعة العانيّ، وزارة الأَوقاف، بغداد، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ١/٢٠٢. **شرح الأَلفيَّة** (الْمُراديُّ) لابن أَمِّ قاسم المُراديّ (ت٧٤٩هـ)، تح: د. فخر الدِّين قباوة، عالم الكتب، بيروت/لبنان، ١/٢٠٩. خزانة الأَدب ولبّ لباب لسان العرب لعبد القادر البغداديّ (ت١٠٩٣هـ)، تح: عبد السَّلام محمَّد هارون، ط١، مطبعة المدني، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م- ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ١/٤٦٧.

(٦) **شرح المفصَّل** ١/١٠٩. ويُنظرُ: **شرحُ الآجروميَّة في علم العربيَّة**، لعلي بن عبد اللَّه السَّنهُوريّ (ت٧٢٣هـ)، تح: د. محمَّد خليل عبد العزيز، ط١، دار السَّلام للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، جمهوريَّة مصر العربيَّة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ١/٢٨٦.

(٧) **ارتشاف الضَّرَب مِنْ لسان العرب** لأَبي حيَّان الأَندلُسيِّ (ت٧٤٥هـ)، تح: د. مصطفى أَحمد النَّماس، مطبعة النِّسر الذَّهبيّ، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ٢/١١٠. ويُنظرُ: **الْمُساعد على تسهيل الفوائد**، لبهاء الدِّين عبد اللَّه بن عقيل (ت٧٦٩هـ)، تح: د. محمد كامل بركات، ط٢، جامعة أُمّ القرى، المملكة العربيّة السُّعوديّة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ١/٢٨١.

(٨) يُنظرُ: **مُغني اللبيب عن كُتُبِ الأَعاريب** لابن هشام الأَنصاريّ (ت٧٦١هـ)، تح: د. مازن المبارك ومحمَّد علي حمد اللَّه، ط٥، مؤسَّسة الصَّادق، طهران، ١٣٧٨هـ، ٣١٦/١. **حاشية الدُّسوقيّ على مغني اللَّبيب**، لمصطفى بن عرفة الدُّسوقيّ (ت١٢٣٠هـ)، مكتبة ومطبعة المشهد الحسينيّ، القاهرة، ٢٥٠/١.

(٩) يُنظرُ رأْيُهُ: **الجنى الدَّاني في حروف المعاني**، لابن أُمِّ قاسم المُراديّ (ت٧٤٩هـ)، تح: د. طه محسن، مؤسَّسة دار الكُتُب للطِّباعة والنَّشر، جامعة الموصل/العراق ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص٣٠١. **أَوضحُ المسالك** (مِنْ دونِ نسبةٍ)، ٢٠٣/١.

(١٠) يُنظرُ: **شرح الحماسة** (المرزوقيُّ) لأَبي علي أَحمد بن محمَّد بن الحسين المرزوقيِّ (ت٤٢١هـ)، تح: أَحمد أَمين وعبد السَّلام محمَّد هارون، ط١، مطبعة لجنة التأْليف والتَّرجمة والنَّشر، القاهرة، ١٣٧١هـ-١٣٧٢هـ/١٩٥١م-١٩٥٣م، ٥٠٧/٢. **شرح الرَّضي على الكافية** لرضيِّ الدِّين محمَّد بن الحسن الإِستراباديّ (ت٦٨٨هـ)، تح: يوسف حسن عمر، ط١، مؤسَّسة الصَّادق، طهران، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ٢٩٣/١. **شرح اللمحة البدريَّة في علم العربيَّة**، لابن هشام الأَنصاريّ (ت٧٦١هـ)، تح: د. هادي نهر، دار اليازوريّ العلميَّة، عمَّان/الأُردن، ٣٥/٢. **ارتشاف الضَّرب**، ١١٠/٢. **همع الهوامع**، ١١٩/٢. **خزانة الأدب** ٤٦٧/١. **الكواكب الدُّريَّة على مُتمِّمةِ الآجروميَّة**، للشيخ محمَّد بن أَحمد بن عبد الباري الأَهدل (مِن علماء القرن الثَّالث عشر الهجريّ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت/لبنان، ص٢٠٣.

(١١) **أَمالي ابن الشَّجريّ**، ٤٣٠/١.

(١٢) يُنظرُ: **الْمُساعد** ٢٨١/١.

(١٣) **المآخِذ على شُرَّاحِ ديوانِ أَبي الطَّيِّب المتنبِّي** لأَبي العبَّاس المُهلَّبيّ (ت٦٤٤هـ) ـ تح: د. عبد العزيز المانع، ط٣، مركز الملك فيصل للبحوث والدِّراسات الإِسلاميَّة، الرِّياض، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ٣٠٦/١.

(١٤) **شرح اللمحة البدريَّة** ٣٣/٢. **شرح التَّصريح على التَّوضيح** للشَّيخ خالد الأَزهريّ (ت٩٠٥هـ)، دار إحياء الكتب العربيَّة، القاهرة، ١٩٩/١. **شرح ابن طولون على أَلفيَّة ابن مالك**، لأَبي عبد اللَّه محمَّد بن علي بن طولون (ت٩٥٣هـ)، تح: د. عبد الحميد جاسم الكبيسيّ، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت/لبنان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ٢٢٥/١.

(١٥) **شرح الرَّضي على الكافية** ١٨٤/٢.

(١٦) أَي: بـ(ليسَ).

(١٧) **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، لابن مالك (ت٦٧٢هـ)، تح: محمَّد كامل بركات، دار الكتاب العربيّ للطِّباعة والنَّشر، الجمهوريَّة العربيَّة المُتَّحدة/القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ص٥٧. ويُنظرُ: **همع الهوامع** ١١٩/٢-١٢٠.

(١٨) **ارتشاف الضَّرب** ١١٠/٢. ويُنظرُ: **همع لهوامع** ١١٩/٢-١٢٠.

(١٩) يُنظرُ: **شرح أَلفيَّة ابن مالك**، لبدر الدِّين محمَّد بن محمَّد بن النَّاظم (ت٦٨٦هـ)، المطبعة العلويَّة في النَّجف الأَشرف، ١٣٤٢هـ، ص٦١. **الدُّرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون**، للإِمام شهاب الدِّين أَبي العبَّاس بن يوسف المعروف بـ(السَّمين الحلبيّ) (ت٧٥٦هـ)، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت/لبنان ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ٥٢٠/٥.

(٢٠) أَي: (لا) العاملة عمل (ليسَ).

(٢١) التَّخمير ٥٢٤/٤.

(٢٢) يُنظرُ: **شرح كتاب سيبويهِ** لأَبي سعيد السِّيرافيّ (ت٣٦٨هـ)، نشره: أَحمد حسن مهدلي وعلي سيِّد علي، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت/لبنان ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ٣٢٥/١.

(٢٣) سورة ص، الآية ٣.

(٢٤) **الأُزهية** ص١٦٩. ويُنظرُ في العلاقة بينَ (لا)، و(لاتَ): **شرح كتاب سيبويهِ** ٣٢٥/١. **الْمُساعِد** ٢٨٢/١. **الدُّرُّ المصون** ٥٢٠/٥.

(٢٥) **التِّبيان في إعراب القرآن** لأَبي البقاء عبد اللَّه بن الحسين العُكبريّ (ت٦١٦هـ)، تح: علي محمَّد البجَّاوي، دار الجيل، بيروت/لبنان ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ١/١٥. ويُنظرُ: **مُغني اللبيب عن كتب الأَعاريب**، لابن هشام الأَنصاريّ (ت٧٦١هـ)، تح: د. مازن المبارك ومحمَّد علي حمد اللَّه، ط٥، مؤسَّسة الصَّادق، طهران، ١٣٧٨هـ، ١/٣١٦.

(٢٦) يُنظرُ: **الكتاب** ٢/٢٩٦.

(٢٧) **المقتضب** ٤/٣٨٢.

(٢٨) يُنظرُ: **الأُصول في النَّحو** ١/٣٩٢. الجمل ص٢٣٨. **التَّوطئة** لأَبي علي الشَّلَوبينيّ (ت٦٤٥هـ)، تح: د. يوسف أَحمد المطوَّع، الكويت، ١٩٨٠م، ص٢٧١. **شرح المفصَّل**، لموفَّق الدِّين ابن يعيش الحلبيّ (ت٦٤٣هـ)، عالم الكتب/بيروت، مكتبة المتنبِّي/القاهرة، ١/١٠٩. **ارتشاف الضَّرب** ٢/١١٠. **شرح الأَلفيَّة** (الْمُراديُّ) ١/٢٠٩. **شرح شذور الذهب** ص١٣٩. **شرح ابن عقيل** لبهاء الدِّين عبد اللَّه بن عقيل (ت٧٦٩هـ)، تح: محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد، ط١٠، مطبعة السَّعادة بمصر ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م، ١/٢٦٨. **شرح الآجروميَّة** ١/٢٨٧. **شرح التَّصريح على التَّوضيح** ١/١١٩. **حاشية الخُضريّ على شرح ابن عقيل**، لمحمَّد الخُضريّ (ت١٢٨٧هـ)، نشره: تركي فرحان المصطفى، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت/لبنان ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ١/٢٧٠.

(٢٩) يُنظرُ: **التَّوطئة** ص٢٧١. **شرح المفصَّل** ١/١٠٩. **الْمُقرَّب** لابن عصفور الإِشبيليّ (ت٦٦٩هـ)، تح: د. أَحمد عبد السَّتَّار الجواريّ وعبد اللَّه الجبوري، مطبعة العاني، وزارة الأَوقاف والشُّؤون الدِّينيَّة، بغداد، ص١١٥. **شرح اللمحة البدريَّة** ٢/٣٥. **ارتشاف الضَّرَب** ٢/١١٠. شرح ابن عقيل ١/٢٧٢.

(٣٠) **شرح المفصَّل** ١/١٠٩. **شرح جمل الزَّجَّاجيّ** لابن عصفور الإِشبيليّ (ت٦٦٩هـ)، تح: د. صاحب أَبو جناح، مؤسَّسة دار الكُتُب للطِّباعة والنَّشر، جامعة الموصل

العراق، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ٢/٢٧٣. **شرح اللمحة البدريَّة** ٢/٣٥. **ارتشاف الضَّرَب** ٢/١١٠. **همع الهوامع** ١/١٢٠.

(٣١) **شرح اللمحة البدريَّة** ٢/٣٥.

(٣٢) **المقتضب** ٤/٣٨٢.

(٣٣) يُنظرُ: **الأُصول في النَّحو** ١/٣٩٨.

(٣٤) يُنظرُ: **المصباح في النَّحو** لناصر بن أَبي المكارم المطرَّزيّ (ت٦١٠هـ)، تح: ياسين محمود الخطيب، ط١، دار النّفائس، بيروت/لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٨٢. **شرح اللمحة البدريَّة** ٢/٣٥. **شرح ابن عقيل** ١/٢٧٢.

(٣٥) يُنظرُ: **الكواكب الدُّريَّة** ص٢٠٣.

(٣٦) **شرح اللمحة البدريَّة** ٢/٣٥.

(٣٧) **شرح الحماسة** (المرزوقيّ) ٢/٥٠٧. ويُنظرُ: **شرح ديوان الحماسة** لأَبي زكريَّا يحيى ابن علي التَّبريزيّ (ت٥٠٢هـ)، عالم الكتب، بيروت، ٢/٣١.

(٣٨) **الدُّرُّ المصون** ١/٩١.

(٣٩) **شرح الْمُقدمة المحسبة** لطاهر بن أَحمد بن بابشاذ (ت٤٦٩هـ)، تح: خالد عبد الكريم، شركة الرِّبيعان، الكويت، ١٩٨٦م، ١/٢٧٧.

(٤٠) يُنظرُ: **شرح اللمحة البدريَّة** ٢/٣٥. **مُغني اللبيب** ١/٣١٦. **حاشية الدُّسوقيّ** ١/٢٥٠. **حاشية الخُضريّ** ١/٢٧٠.

(٤١) **همع الهوامع** ٢/١٢٠.

(٤٢) **ارتشاف الضَّرب** ٢/١١٠. **شرح شذور الذَّهب في معرفة كلام العرب**، لابن هشام الأَنصاريّ (ت٧٦١هـ)، تح: د. محمَّد ياسر شرف، ط١، منشورات إِحسان للنَّشر والتَّوزيع، طهران/إِيران، ١٤١٧هـ، ص١٤٠. **شرح التَّصريح على التَّوضيح** ١/١٩٩. **شرح ابن طولون** ١/٢٢٥. **خزانة الأَدب** ١/٤٦٧.

(٤٣) **شرح التَّصريح على التَّوضيح** ١/١٩٩.

(٤٤) **الكتاب** ٢/٢٩٦.

(٤٥) يُنظرُ: **شرح التَّصريح على التَّوضيح** ١/١٩٩. **شرح ابن طولون** ١/٢٢٥.

(٤٦) يُنظرُ: **همع الهوامع** ٢/١١٩. **جامع الدُّروس العربيَّة** للشَّيخ مصطفى الغلاييني، المكتبة التَّوفيقيَّة، القاهرة/مصر، ٢/١٩٢.

(٤٧) **همع الهوامع** ٢/١١٩.

(٤٨) **شرح الأَلفيَّة** (الْمُراديّ) ١/٢٠٩. ويُنظرُ: **شرح الرَّضي على الكافية** ١/٢٩٣، ٢/١٨٤. **ارتشاف الضَّرب** ٢/١١٠. **شرح التَّصريح على التَّوضيح** ١/١٩٩.

(٤٩) **ارتشاف الضَّرب** ٢/١١٠.

(٥٠) أَي: ابن الحاجب (ت٦٤٦هـ).

(٥١) **شرح الرَّضي على الكافية** ٢/١٨٤.

(٥٢) **شرح الرَّضي على الكافية** ١/٢٩٣.

(٥٣) **ارتشاف الضَّرب** ٢/١١٠. ويُنظرُ: **الجنى الدَّاني** ص٣٠١. **أَوضح المسالك** ١/٢٠٣. **همع الهوامع** ٢/١١٩.

(٥٤) عجزُ بيتٍ لسعد بن مالك، وصدرُهُ: مَنْ صَدَّ عَنْ نِيْرَانِهَا. وسيأْتي تخريجُ البيتِ مُفصَّلاً في الهامش (١٠٤).

(٥٥) **أَوضح المسالك** ١/٢٠٣-٢٠٤. ويُنظرُ: **شرح المفصَّل** ١/١٠٩.

(٥٦) يُنظرُ: **شرح المفصَّل** ١/١٠٩.

(٥٧) **خزانة الأَدب** ١/٤٦٧. ويُنظرُ: **الفوائد الضِّيائيَّة شرح كافية ابن الحاجب**، لنور الدّين عبد الرَّحمن الجامي (ت٨٩٨هـ)، تح: د. أسامة طه الرِّفاعي، مطبعة وزارة الأَوقاف والشُّؤون الدِّينيَّة، الجمهوريّة العراقيّة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ١/٣٠٦.

(٥٨) يُنظرُ: **الفوائد الضِّيائيَّة** ١/٣٠٦.

(٥٩) المبتدأُ والخبر.

(٦٠) **شرح الجمل** الزَّجَّاجيّ ١/٤٠٣.

(٦١) **الأُصول في النَّحو** ١/٣٨١.

(٦٢) للاستزادة يُنظرُ: **الإيضاح في شرح المفصَّل** ٢/٢١٦.

(٦٣) **الكتاب** ٢/٢٩٦.

(٦٤) يقصدُ الجملة الاسميَّة.

(٦٥) **المقتضب** ٤/٣٦٠.

(٦٦) أَي: (لا).

(٦٧) **شرح مُلحة الإعراب** لأَبي محمَّد القاسم الحريريّ (ت٥١٦هـ)، تح: د. فائز فارس، ط١، دار الأَمل للنَّشر والتَّوزيع، إِربد/الأُردن، ١٤١٢هـ/١٩٩١هـ، ص١٣١.

(٦٨) **مجالس العلماء** لأَبي القاسم عبد الرَّحمن بن إِسحاق الزَّجاجيّ (ت٣٤٠هـ)، تح: عبد السَّلام محمَّد هارون، وزارة الإِرشاد والأَنباء، الكويت، ١٩٦٢م، ص١٠٤.

(٦٩) **الفَسْر**، لابن جنِّي (ت٣٩٢هـ)، تح: د. رضا رجب، ط٤، دار الينابيع، دمشق، ٢٠٠٤م، ٣/٧٧٧. المقصودُ: الشَّرطُ الَّذي يؤكِّدُ على أَنَّ (لا) تدخلُ على النَّكرةِ ولا تدخلُ على المعرفةِ.

(٧٠) **همع الهوامع** ٢/١٢٠. ويُنظرُ: **شرح الكافية الشَّافية** لجمال الدِّين محمَّد بن عبد اللَّه ابن مالك (ت٦٧٢هـ)، تح: أَحمد يوسف القادريّ، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ١/٨٥. **شرح الأَلفيَّة** (الْمُراديّ) ١/٢٠٩. **شرح التَّصريح على التَّوضيح** ١/١٩٩.

(٧١) يُنظرُ: **شرح الكافية الشَّافية** ١/٨٥.

(٧٢) يُنظر: **التَّسهيل** لابن مالك (ت٦٧٢هـ)، تح: د. عبد الرَّحمن السَّيد ود. محمَّد بدوي المختون، ط١، هجر للطباعة والنَّشر والتَّوزيع والإِعلان، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٥٧.

(٧٣) **شرح التَّسهيل** لابن مالك (ت٦٧٢هـ)، تح: د. عبد الرَّحمن السَّيد ود. محمَّد بدوي المختون، ط١، هجر للطباعة والنَّشر والتَّوزيع والإِعلان، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ١/٣٧٧.

(٧٤) أَي: (لا).

(٧٥) يردُّ على ابن جِنِّي في شرحِهِ لبيتِ المُتنبِّي المذكورِ آنفًا.

(٧٦) سورة القيامة، الآية ٣١.

(٧٧) **المآخذ على شُرَّاح ديوانِ أَبي الطَّيب المتنبِّي** ١/٣٠٦.

(٧٨) لم نذكرِ الآياتِ حسبَ تسلسلِ السُّورِ في المُصحفِ الشَّريفِ، إِنَّما درسْناها حسبَ قوَّةِ الحجَّةِ المقدَّمةِ مِنْ المُفسِّرينَ والنَّحويينَ.

(٧٩) سورة البقرة، الآيات: ٣٨/٦٢/١١٢/٢٦٢.

(٨٠) **المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لأَبي محمَّد عبد الحقّ بن غالب بن عطيَّة الأَندلسيِّ (ت٥٤٦هـ)، نشره: عبد السَّلام عبد الشَّافي محمَّد، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت/لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ١/١٣٢.

(٨١) **تفسير البحر الْمُحيط** لأَبي حيَّان الأَندلسيّ (ت٧٤٥هـ)، نشره: عادل أَحمد عبد الموجود وعلي محمَّد معوَّض وآخرون، ط٢، دار الكتب العلميَّة، بيروت/لبنان، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ١/٣٢٢. ويُنظرُ: **إِعراب القراءات الشَّواذ** لأَبي البقاء العُكبريِّ (ت٦١٦هـ)، تح: محمَّد السيِّد أَحمد عزُّوز، ط٢، عالم الكتب، بيروت/لبنان، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ١/١٥٣. **الدُّرُّ المصون** ١/١٩٩.

(٨٢) سورة يونس، الآية ٦١.

(٨٣) **السَّبعة في القراءات** (كتاب) لأَبي بكر أَحمد بن موسى بن مجاهد (ت٣٢٤هـ)، تح: د. شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف بمصر، ١٩٨٨م، ص٣٢٨.

(٨٤) **النَّشر في القراءات العشر** لأَبي الخير محمَّد بن محَّمد الدِّمشقي الشَّهير بابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، تقديم: علي محمد الضَّبَّاع، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ٢/٢١٤.

(٨٥) منها: **الكشف عن وجوه القراءات السَّبع وعللها وحججها**، لأَبي محمَّد مكي بن أَبي طالب القيسيّ (ت٤٣٧هـ)، تح: د. محيي الدِّين رمضان، ط١، مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ١/٥٢١. **التَّبصرة في القراءات**،

ص٢٢٠. **التَّيسير في القراءات**، ص١٢٣. **الحجَّة في القراءات السَّبع**، ص١٨٢-١٨٣. **حجَّة القراءات** ص٣٣٤.

(٨٦) أَي: ممنوعانِ مِنَ الصَّرفِ.

(٨٧) ويقصدُ حمزةَ الزَّيَّات (ت١٥٦هـ).

(٨٨) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** (تفسير الطَّبري) لأَبي جعفر محمَّد بن جرير الطَّبري (ت٣١٠هـ)، تعليق: محمود شاكر، ط١، دار إِحياء التُّراث العربيّ، بيروت/لبنان ١٤٣١هـ/٢٠٠١م، ١١/١٥٠. ويُنظرُ: **معاني القرآن**، لسعيد بن مسعدة (الأَخفش الأَوسط) (ت٢١٥هـ)، تح: د. عبد الأَمير محمد أَمين الورد، عالم الكتب، بيروت، ١/٣٨٥. **إِعراب القرآن**، لأَبي جعفر أَحمد بن محمَّد بن إِسماعيل بن النَّحَّاس (ت٣٢٨هـ)، تح: د. زهير غازي زاهد، ط١، عالم الكتب للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت/لبنان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٤١١. **مُشكل إِعراب القرآن** (كتاب)، لمكي بن أَبي طالب القيسيِّ (ت٤٣٧هـ)، تح: ياسين محمد السَّواس، مطبوعات مجمع اللُّغة العربية بدمشق، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ١/٣٨٥. **المحرَّر الوجيز** ٣/١٢٨. **زاد المسير في علم التَّفسير**، للإِمام أَبي الفرج جمال الدِّين عبد الرَّحمن بن علي الجوزيّ (ت٥٩٧هـ)، تح: محمَّد زهير الشَّاويش وشعيب الأَرناؤوط وعبد القادر الأَرناؤوط، ط١، المكتب الإِسلامي/دار ابن حزم، بيروت/لبنان، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص٦٢٩-٦٣٠. **التَّفسير الكبير** لمحمَّد بن عمر الرَّازيّ (ت٦٠٦هـ)، ط٣، مطبعة مكتب الإِعلام الإِسلاميَّة، إِيران، ١٣١١هـ، ١٧/١٢٣. **معالم التَّنزيل** المسمى (تفسير البغوي) (بهامش تفسير الخازن)، لأَبي محمد الحسين ابن مسعود الفرّاء البغوي (ت٥١٦هـ)، ضبطه: عبد السلام علي شاهين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ٣/٢٥٣. **مجمع البيان في تفسير القرآن**، لأَبي علي الفضل بن الحسن الطَّبرسيّ (ت٥٤٨هـ)، قدَّم له: السَّيد محسن العامليّ، ط١، مؤسَّسة الأَعلميّ للمطبوعات، بيروت/لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ٥/٢٠٥. **تفسير البحر المحيط** ٥/١٧٢. **الدُّرُّ المصون** ٤/٤٨.

أَنوار التَّنزيل وأَسرار التأْويل (تفسير البيضاويّ)، للقاضي أَبي سعيد عبد اللَّه بن عمر البيضاويّ (ت٧٩١هـ)، تح: دـ حمزة النَّشرتي وآخرين، مكتبة الأُصوليّ، دمنهور/مصر، ١٤١٨م، ٦٣٨/٢.

(٨٩) يُنظرُ: **الكشف عن وجوه القراءات** ٥٢١/١.

(٩٠) يُنظرُ: **إِعراب القرآن** ص٤١١. وهذا تخريجُ الفرَّاء (ت٢٠٧هـ). ويُنظرُ: **معاني القرآن** ٤٧٠/١.

(٩١) **الكشَّاف** ٢٤٣/٢. ويُنظرُ: **الدُّرُّ المصون** ٤٨/٤. **تفسير البيضاويّ** ٥١٨/٢. **فتح القدير الجامع بين فنَّي الرِّواية والدِّراية مِن علم التَّفسير**، لمحمَّد بن علي بن محمَّد الشَّوكانيّ (ت١٢٥٠هـ)، تح: د. عبد الرَّحمن عميرة، ط٣، دار الوفاء للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، المنصورة/مصر، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ٦٣٨/٢.

(٩٢) **الإِتقان في علوم القرآن** لجلال الدِّين السُّيوطيّ (ت٩١١هـ)، تح: محمَّد أَبو الفضل إِبراهيم، مكتبة دار التُّراث، القاهرة، ٢٢٨/٢.

(٩٣) تفسيرُهُ ٥١٨/٢.

(٩٤) سورة يس، الآية ٣٨.

(٩٥) **المحرَّرُ الوجيزُ** ٤٥٤/٤. ويُنظرُ: **معاني القرآن** لأَبي زكريا يحيى بن زياد الفرَّاء (ت٢٠٧هـ)، تح: أَحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجَّار ود. عبد الفتَّاح شلبي، ط٢، مطابع الهيئة المصريَّة للكتاب، مصر، ١٩٨٠م، ٣٧٧/٢. **مجمع البيان** ٢٧٢/٨.

(٩٦) **الدُّرُّ المصون** ٤٨٥/٥.

(٩٧) **الدُّرُّ المصون** ٤٨٥/٥. ويُنظرُ: **تفسير البحر المحيط** ٣٢١/٧.

(٩٨) **إِعراب القراءات الشَّواذ** ٣٦٣/٢.

(٩٩) **التِّبيان في إِعراب القرآن** ١٥/١.

(١٠٠) سورة البقرة، الآية ٢.

(١٠١) **تفسير البحر الْمُحيط** ١٦٠/١. ويُنظرُ: **مُختصرٌ في شواذ القراءات** (القرآن)، مِن كتاب (البديع)، لابن خالويهِ (ت٣٧٠هـ)، تح: برجشتراسر، دار الهجرة، ص٢.

(١٠٢) إعراب القراءات الشَّواذ ١/١٠٨.

(١٠٣) **تفسير البحر المحيط** ١/١٦٠.

(١٠٤) تخريجُ الأَبيات:

١- لا يُعرفُ قائلُ البيت. يُنظرُ: **شرح الكافية الشَّافية** ١/٨٥. شرح ابن النَّاظم، ص٦١. **الجنى الدَّاني** ص٣٠١. **شرح الأَلفيَّة** (الْمُراديّ) ١/٢٠٩. **ارتشاف الضَّرب** ٢/١١٠. **مغني اللبيب** ١/٣١٥. شرح شذور الذَّهب ص١٣٩. **المساعد** ١/٢٨٢. **المقاصد النَّحويَّة** ٢/١٠٢. **شرح التَّصريح** ١/١٩٩. **همع الهوامع** ٢/١١٩. **الكواكب الدُّريَّة** ص١٣٣، ٢٠١. **معجم شواهِد النَّحو الشِّعريَّة**، د. حنا جميل حدَّاد، ط١، دار العلوم للطِّباعة والنَّشر، الرِّياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص١٨٧.

٢- الشَّاهَد للنَّابغة الجعديّ. **شِعرُهُ**، تح: عبد العزيز رباح، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٦٤م، ص١٧١. ويُنظرُ: **معجم شواهِد النَّحو الشِّعريَّة** ص١٨٦.

٣- الشَّاهِدُ للمُتنبِّي. يُنظرُ: **الفَسْرُ** ٣/٧٧٧. التِّبيان في شرح الدِّيوان التِّبيان (ديوان المتنبيّ) المنسوب لأَبي البقاء العُكبريّ (ت٦١٦هـ)، تح: مصطفى السَّقَّا وإِبراهيم الإِبياريّ وعبد الحفيظ شلبي، البابي الحلبيّ بمصر، ١٩٥٦م، ٤/٢٨٣. **المآخذ على شُرَّاح ديوانِ أَبي الطَّيِّب** ١/٣٠٦.

٤- لا يُعرفُ قائلُ البيت. وقد وقعَ في شعرِ جريرٍ، ديوانه بشرح محمَّد بن حبيب (ت٢٤٥هـ)، تح: د. نعمان أَمين طه، ط٤، دار المعارف بمصر، ٢٠٠٦م، ١/١٦٠. ويُنظرُ: **ارتشاف الضَّرَب** ٢/١١٠. **الكواكب الدُّريَّة** ص٢٠٢. **معجم شواهِد النَّحو الشِّعريَّة** ص١٧٢.

٥- يُنسَبُ البيتُ لابن الصفي! أَو لرجلٍ مِنْ أَصفهان كما جاء في كتاب **أَمالي ابن الشَّجريّ** ١/٤٣٠ والهامش(٢) في الصَّفحةِ عينِها.

٦- الشَّاهِدُ لسوادِ بنِ قارب. يُنظرُ: شرح الكافية الشَّافية ١/٨٥. شرح عمدة الحافظِ وعُدَّة اللافظ ص٢١٥. المقاصد النَّحويَّة، ٢/١١٤، ٣/٤١٧. معجم شواهِد النَّحو الشِّعريَّة ص٤١.

٧- الشَّاهِدُ لسعدِ بن مالِك. يُنظرُ: **الكتاب** ١/٥٨، ٢/٢٩٦. **المقتضب** ٤/٣٦٠. **شرح الحماسة** (المرزوقيّ) ٢/٥٠٦. **شرح المفصَّل** ١/١٠٨، ١٠٩. **شرح الرَّضي على الكافية** ١/٢٩٣. **المآخذ على شُرَّاحِ ديوانِ أَبي الطَّيب** ١/٣٠٦. **المقاصد النَّحويَّة** ٢/١٥٠. **الفوائد الضِّيائيَّة** ١/٣٠٦. **شرح التَّصريح** ١/١٩٩. **همع الهوامع** ٢/١١٩. **معجم شواهِد النَّحو الشِّعريَّة** ص٤٩.

٨- الرجزُ للعجَّاج. **ديوانه**، رواية: عبد الملك بن قُريب الأَصمعيّ (ت٢١٦هـ) وشرحه، تح: د. عزَّة حسن، مكتبة دار الشَّرق، بيروت، ١٩٧١م، ص٤٥٩. ويُنظرُ: **معجم شواهِد النَّحو الشِّعريَّة** ص٢٠١.

٩- الشَّاهِدُ للأَخطل. **ديوانُهُ**، صَنْعَة أَبي سعيد السُّكَّريّ (ت٢٧٥هـ)، تح: د. فخر الدِّين قباوة، ط٢، منشورات دار الآفاق الجديدة ببيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ١/٣٨٢. ويُنظرُ: **معجم شواهِد النَّحو الشِّعريَّة** ص١٥٢.

١٠- لا يُعرفُ قائلُ البيت. يُنظرُ: **ارتشاف الضَّرَب** ٢/١١٠. **الجنى الدَّاني** ٣٠١. **مُغني اللبيب** ١/٣١٦. **المقاصِدُ النَّحويَّة** ٢/١٤٠. **حاشية الدُّسوقيِّ** ١/٢٥٠. **معجم شواهِد النَّحو الشِّعريَّة** ص١٧٢.

(١٠٥) يُنظرُ: **المآخذ على شُرَّاحِ ديوانِ أَبي الطَّيب** ١/٣٠٦.

(١٠٦) يُنظرُ: **المرجِعُ في العربيَّة**، تأليف: علي رضا، دار الشَّرق العربي، بيروت وحلب، ص٤٠١.

(١٠٧) يُنظرُ: **المرجِعُ في العربيَّة** ص٤٠١-٤٠٢.

(١٠٨) يُنظرُ: **المرجِعُ في العربيَّة** ص٤٠١.

(١٠٩) يُنظرُ: **شرح ابن عقيل** ١/٢٤٧.

(١١٠) يُنظرُ: **المرجِعُ في العربيَّة** ص٤٠١.

(١١١) يُنظرُ: **الكتاب** ١/٥٨، ٢/٢٩٦. **المقتضب** ٤/٣٦٠. **الجمل** ص٢٣٨. **الفَسْر** ٣/٧٧٧. **شرح المفصَّل** ١/١٠٩. **مغني اللبيب** ١/٣١٥. **المقاصد النَّحويَّة** ٢/١٥٦. **حاشية الدُّسوقيَّ** ١/٢٤٩.

(١١٢) يُنظرُ: **شرح المفصَّل** ١/١٠٩.

(١١٣) يُنظرُ: **شرح المفصَّل** ١/١٠٩. **المقاصد النَّحويَّة** ٢/١٥٦.

(١١٤) يُنظرُ: **شرح المفصَّل** ١/١٠٩.

(١١٥) **شرح الحماسة** (المرزوقيّ) ٢/٥٠٦.

(١١٦) **المقاصد النَّحويَّة** ٢/١٥٦.

(١١٧) **المُعجم الوافي في أَدوات النَّحو العربي**، تصنيف: د. علي توفيق الحمد ويوسف جميل الزُّعبي، ط٢، دار الأَمل، الأُردن، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٢١٣.

(١١٨) يُنظرُ: **المُعجمُ الوافي في الأَدواتِ النَّحويَّةِ** ص٢١٣.

(١١٩) **حاشية الدُّسوقيِّ** ١/٢٥٠.

(١٢٠) سورة البقرة، الآية ١٧٣.

(١٢١) سورة الأَحزاب، الآية ٥٣.

(١٢٢) **همعُ الهوامع** ٢/١١٩.

مُحَمَّد بن مَعْمَر البَحْرَانِيّ

(حدود ١٧٦–٢٥٦هـ)

بقلم: أ. عبدالله بن علي الرستم*

تمهيد:

حِينَمَا انْتَهَيْتُ مِنْ كِتَابَةِ سِيرَةِ أَبِي الخَطَّابِ الهَجَرِيّ (الأَخْفَشِ الأَكْبَر) شَيْخِ سِيبَوَيْه، لَمْ يَكُنْ بِبَالي أَنْ أَدْخُلَ بابَ الكِتَابَةِ فِي التَرَاجُمِ، إلا أَنِّي وَمِنْ خِلاَلِ القِرَاءَةِ وَجَدْتُ أَنَّ ثَمّةَ شَخْصِيَّاتٍ تَنْتَمِي إِلَى إِقْلِيمِ البَحْرَيْنِ التَاريخِيّ مَا زَالَتْ بِحَاجَةٍ إِلَى تَعْرِيْفٍ، حَيْثُ وَقَعَتْ عَيْنَايَ عَلَى شَخْصِيَّةٍ أُخْرَى لَمْ تُذْكَر فِي كُتُبِ التَّرَاجُمِ التِي اعْتَنَتْ بَأَعْلاَمِ المَنْطِقَةِ[1]، وَلَعَلَّ هَذِهِ الشَّخْصِيّة بِحَاجَةٍ إِلَى جُهْدٍ كَبِيرٍ لِلتَعْرِيفِ بِهَا، حَيْثُ مَا ذَكَرَتْهُ كُتُبُ التَّرَاجُمِ لا يَتَعَدَّى النَّقْل اليَسِيرَ عَنْهُ، وَمُعْظَمُ مَا هُوَ مَوْجُودٌ يَدْخُلُ ضِمْنَ سَنَدِ رِوَايَاتٍ وَرَدَتْ عِنْدَ الْمُحَدّثِينَ؛ ومع ذلك فنحن بِحَاجَةٍ إِلَى لَمْلَمَةِ سِيرَتِهِ مِنْ بَيْنِ صَفَحَاتِ التَارِيخ.

وَلَعَلَّ مَا زَادَ اهتِمَامِي فِي البَحْثِ عَنْ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ -إِضَافَةً لِكَوْنِهِ يَنْتَمِي إِلَى مَنْطِقَةِ البَحْرَيْنِ- أَنَّهُ شَيْخٌ لإِمَامِ الْمُؤَرِّخِينَ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّد بنُ جَرِيْرٍ الطَّبَرِيّ (ت ٣١٠هـ) صَاحِبَ التَارِيخِ الْمَشْهُورِ "**تَارِيخُ الأُمَمِ وَالْمُلُوك**"،

وَهُنَا التِفَاتَةٌ هي ذَات أَهَمِيَّة، وهي: إِنَّ عُلَمَاءَ الأُمَّةِ الكِبَار رُغْمَ تَفَوُّقِهِم وَبُرُوزِهِم عَلَى السَّاحَةِ العِلْمِيَّةِ؛ إِلا أَنَّ الاعْتِنَاءَ بِسِيرَةِ شُيُوخِهِمُ الَّذِينَ تَلَقَّوا عَنْهُمُ العِلْمَ أَمْرٌ شِبْهُ مَغْفُولٍ عَنْهُ، فَمِنْ هَذَا وَذَاكَ جَاءَتْ هَذِهِ التَّرْجَمَةُ الَّتِي حَاوَلْتُ لَمْلَمَةَ أَوْرَاقِهَا لَتَخْرُجَ بِصُورَةٍ لائِقَةٍ بِالتَّعْرِيفِ عَنْ عَلَمٍ مِنْ أَعْلامِ الأُمَّةِ وَهُوَ: مُحَمَّد بنُ مَعْمَر البَحْرَانِيّ.

اسْمُهُ وَنَسَبُهُ:

هُوَ أَبُو الحُسَيْنِ[٢] أَوْ أَبُو عَبْدِاللهِ مُحَمَّدُ بنُ مَعْمَر بن رِبْعِي القَيْسِيّ[٣] البَصْرِيّ البَحْرَانِيّ[٤]. هذا مَا اسْتَطَعْنَا الوُصُولَ إِلَيْهِ فِي التَّعَرُّفِ عَلَى نَسَبِهِ، وَيَكْفِي فِي هَذِهِ النِّسْبَةِ أَنَّهُ يَنْتَمِي إِلَى قَبِيلَةِ عَبْدالقَيْس التي هَاجَرَ جُزْءٌ كَبِيْرٌ مِنْهَا إِلَى البَصْرَة فِي القَرْنِ الأَوَّل، حَيْثُ يُنسَبُ إِلَى هَذهِ القَبِيلةِ مَجْمُوعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الأَعْلامِ فيقال (قَيْسِيّ) أَوْ (عَبْدِيّ)، وَقَرِينَةُ أَنَّهُ مِنَ البَحْرَيْنِ دِلالَةٌ أُخْرَى عَلَى انْتِمَائِهِ إِلَى هَذِهِ المَنْطِقَةِ والقَبِيلَةِ نَفْسِهَا التي كَانَتْ تَقْطِنُ إِقْلِيمَ البَحْرَيْن.

واشتَبَهَ الأَمْرُ عِنْدَ بَعْضِ المُحَقِّقِينَ، حَيْثُ نَسَبَ مُتَرْجمنا إِلَى حَرَّان بقوله: (الحَرّانِيّ)[٥]، وهذا فِي وَاقِعِ أَمْرِهِ اشْتِبَاهٌ وَتَصْحِيْفٌ مِنْهُم؛ لأنَّ مُعْظَمَ مَنْ تَرْجَمَ لَهُ نَسَبَهُ إِلَى البَحْرَيْنِ بِقَوْلِهِ (البَحْرَانِيّ)، وَكَمَا أَسْلَفْنَا القَوْلَ إِنَّ قَرِيْنَةَ انتِمَائِه إِلَى عَبْدالقَيْس وَسَكَنِهِ البَصْرَةَ دِلالةٌ كَبِيْرَةٌ عَلَى أَنَّهُ (البَحْرَانِيّ) وَلَيْسَ (الحَرَّانِيّ).

قَالَ يَاقُوتٌ فِي **مُعْجَمِ البُلدان**[٦]: وَيُنْسَبُ إِلَى البَحْرَيْن قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ مِنْهُم مُحَمَّد بن مَعْمَر البَحْرَانِيّ بَصْرِيٌ ثِقَةٌ حَدَّثَ عَنْهُ البُخَارِيّ.

قَالَ ابنُ حَجَرٍ فِي **تَهْذِيبِ التَّهْذِيب**[٧]: مُحَمَّد بن مَعْمَر بن رِبْعِي القَيْسِيّ أَبُو عَبْدِاللهِ البَصْرِيُّ المَعْرُوفُ بِالبَحْرَانِيّ.

وهناك شواهدُ كثيرةٌ تدلُّ على أنه من البحرين، وخصوصًا في الروايات التي رُوِيَتْ عنه، ولذا اكتفينا بهذَيْنِ الشاهدَيْنِ، وإلا فمعظم من ترجم له نسبه إلى البحرين.

تَارِيخُ وِلاَدَتِهِ وَوَفَاتِه:

لَمْ أَظْفَر لُمُتَرْجِمِنَا عَلَى تَارِيخِ وِلاَدَةٍ فِي كُتُبِ التَرَاجُمِ التِي ذَكَرَتْهُ، عِلْمًا أَنَّ مَنْ تَرْجَمَ لَهُ ذَكَرَهُ عَرَضًا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ بَصْرِيٌّ أَوْ قَيْسِيٌّ أَوْ بَحْرَانِيٌّ، وَأَنَّهُ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ الثِّقَاةِ كَمَا سَيَأْتِي، إلا أَنَّ هُنَاكَ قَرَائِنَ كَثِيْرَةً تُثْبِتُ أَنَّهُ عَاشَ فِي القَرْنِ الثَالِثِ الهِجْرِيّ، حيث حدّث عنه مجموعةٌ من العُلماءِ الذين عاشوا فِي هذه الفترة باعتبارِهِ من الْمُحَدِّثِين[٨]، ولعلّ هناك قرينةً تُقَرِّبُ تَارِيخَ وِلاَدَتِهِ وأَنَّها كانت قبل عام (١٨٦هـ)؛ ذلك أَنَّهُ حدّث عن خالد بن الحارث البصري (ت ١٨٦هـ)[٩]، مما يعني أنّ عمره أثناء التحديث عنه كان في العاشرة من عمره على أقلِّ تقدير، أمّا عن تاريخ وفاته فيذكر ابن حجر نقلاً عن ابنِ حبّان فِي الثِّقاتِ أَنَّهُ تُوُفِّي بعد عام (٢٥٠هـ)[١٠]، ووافقه صاحبُ **خُلاصَةِ العَبَقَاتِ** أثناء ذِكْرِهِ ضِمْنَ عُلَمَاءِ العَامّةِ الذين رَوَوْا حديثَ السفِينةِ[١١]، وَقَدْ حَدَّدَ الذَّهَبِيُّ تَارِيخَ وَفَاتِه أَنَّها فِي عَامِ (٢٥٦هـ)[١٢].

شُيُوخُهُ وتَلامِذَتُهُ:

لَعَلَّ مِنْ الصَّعْبِ الحُصُولَ عَلَى معلوماتٍ تُثبتُ لنا تتلمذ البَحْرَانِيّ على عددٍ مِنْ شُيُوخِ عَصْرِهِ، خُصُوصًا وأَنَّهُ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ، فَالنَّقْلُ لاَ يَعْنِي التَّتَلْمُذ بِمَعْنَاهُ الحَقِيقِي، ولذا فإنَّ هناكَ مَجْمُوعَةً كَبِيرَةً مِمَّنْ نَقَلَ عَنْهُمُ الحَدِيثَ، والأمر لا يعدوه فِي حال تلامذته الذين نقلوا عنه. نعم!! باستطاعتنا من خلال القرائن إثبات تتلمذه على غيره وأخذ الآخرين عنه. فَعَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ: وَرَدَ فِي كثيرٍ مِنَ الْمَصَادِرِ أَنَّهُ شَيْخٌ لإِمَامِ الْمُؤَرِّخِينَ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بنُ جَرِير الطَّبَرِيّ (ت٣١٠هـ) وقد نقل الطبريُّ عنه الكثير في تفسيره "**جامع البيان**" وكتابه "**تهذيب الآثار**" بقوله: (حدّثنا)، وَأَنَّهُ شيخٌ لِلْمُحَدِّثِ مُحَمَّد بن عِيسَى التِّرْمِذِي (ت٢٧٩هـ)[١٣]، وَغَيْرُهُمُ كَثِير[١٤].

ولنا أن نشير بأنّ الذين روى عنهم يصل عددهم إلى مئة وتسعين راويًا، وأنّ مِنْ هؤلاءِ الرُّواة مَنْ تكررت الرواية عنه فِي عِدّةِ مَوَاضِعَ. أَمَّا الرُّوَاةُ الذين رَوَوا عَنْهُ الحَدِيثَ وذكروه فِي مصنّفاتهم، فإنّ عددهم يبلغ ثلاثةً وأربعين راويًا، والحَالُ نفسه فِي تكرار الرواية ونقلها عنه فِي عدة مواضع من كتب الحديث.

وَثَاقَتُهُ:

وَثَّقَ البَحْرَانِيَّ مَجْمُوعَةٌ مِنَ العُلَمَاءِ، وَهُمْ عَلَى النَّحْوِ التَالِي:

قَالَ ابْنُ مَاكُولاَ: مُحَمَّد بن مَعْمَر البَحْرَانِيّ بَصْرِيٌّ ثِقَةٌ، حَدَّثَ عَنْهُ البُخَارِيُّ وغَيْرُهُ[١٥].

وقَالَ الشَّرِيفُ حاتم بِنْ عَارِفْ العَوْنِي: مُحَمَّد بن مَعْمَر البَحْرَانِيّ لا بَأْسَ بِهِ[١٦].

وقَالَ يَاقُوتٌ[١٧]:

ويُنْسَبُ إِلَى البَحْرَيْنِ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ مِنْهُم مُحَمَّد بن مَعْمَر البَحْرَانِيّ، بَصْرِيٌّ ثِقَةٌ.

وقَالَ السَّمْعَانِيُّ[١٨]:

والْمَشْهُورُ بِهَا أَبُو عَبْدِاللهِ مُحَمَّد بن مَعْمَر القَيْسِيّ البَحْرَانِيّ، بَصْرِيٌّ ثِقَةٌ.

وَقَالَ الرَّازِيُّ[١٩]:

مُحَمَّد بن مَعْمَر القَيْسِيّ البَصْرِيّ البَحْرَانِيّ... سَمِعَ مِنْهُ أَبِي بِالْبَصْرَةِ فِي الرِّحْلَةِ الثَّالِثَة وَرَوَى عَنْهُ. حَدَّثَنَا عَبْدُالرَّحْمَن قَالَ: سُئِلَ أَبِي عَنْهُ فَقَالَ: صَدُوقٌ.

وقَالَ ابْنُ حَجَرٍ[٢٠]:

قَالَ أَبُو دَاوُد: لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ صَدُوقٌ، وَقَالَ النِّسَائِي: ثِقَةٌ، وَقَالَ مرة: لا بَأْسَ بِهِ، وَقَالَ أَبُو حَاتم: صَدُوقٌ، وقَالَ البَزَّارُ: ثَنَا مُحَمَّد بن مَعْمَر وَكَانَ مِنْ خِيَارِ عِبَادِ اللهِ، وَقَالَ الخَطِيبُ: ثِقَةٌ وَذَكَرَهُ ابْنُ حِبَّان فِي الثِّقَاتِ.

قُلْتُ: وَقَالَ مسلمة: لا بَأْسَ بِهِ.

وَقَالَ أَبُو عُرُوبة: كَبِيرٌ مِنْ أَهْلِ الصِّنَاعَةِ ذَكَرَهُ ابْنُ عَدِيٍّ وَفِي "**الزهرة**" روى عنه (خ) أربعة و (م) ثمانية.

وقَالَ النِّسَائِيُّ: لاَ بَأْسَ بِهِ[٢١].

مُؤَلَّفَاتُهُ:

لكلِّ عالمٍ صاحبِ فنٍّ اهتمامٌ بالعلم الذي يتدارسه ويتخصص فِيه، وربما وظّف هذا الاختصاص بطرقٍ كثيرة لنشره، والتي منها التأليف، ومُترْجَمُنا لم يحفظ لنا التاريخ شيئًا مما صنّفه، سوى ما ذُكِرَ أنه محدِّثٌ وأنّ لديه مسندًا، وأنه يروي تفسيرًا عن روح بن عبادة، فقد ذَكَر الدارقطني[٢٢] فِي حديثه عن ابن مَعْمَر البَحْرَانِيّ: كان بالبصرة هو الذي يروي (التفسير عن روح بن عُبَادَة)، و(صنَّف مسندًا) سمع منه، حَدَّثَنَا عنه جماعة من شيوخنا. اهـ.

شيء من سيرته:

لم تذكر لنا المصادر التي رجعنا إليها شيئًا من سيرته، سوى معلومات يسيرة جدًّا، كقول ابْنِ حَجَرٍ[٢٣]، ضمن ذكره أقوال المحدثين في ذكر وثاقته، حيث ذَكَرَ قولَ البَزَّارُ: أَنَّه كَانَ مِنْ خِيَارِ عِبَادِ اللهِ.

ولعل أخذ جملة من أهل العلم الرواية عنه دلالة على أنَّه كان منشغِلاً في تحصيلِ العلمِ والعبادةِ، ودلالةُ ذلك أنّ مجموعةً كبيرةً من المحدِّثِين وَثَّقُوه كما أسلفنا.

ولعمره الطويل أثر في عطائه، حيث يستفاد من تاريخ ولادته ووفاته أنّ عمره تجاوز الثمانين سنة، ذلك أنّ ولادته كانت قبل عام (١٨٦هـ) ووفاته كانت (٢٥٦هـ) كما أشرنا سَلَفًا.

الحركة العلمية في عصره:

لعلَّ المتابع لحركةِ تاريخِ البَصْرَةِ في القُرونِ الهجْرية الأُولى يَرَى أنها من الحواضر العلمية التي تُشدُّ إليها الرِّحال بعد الحرمين الشريفين، خصوصًا بعد أن استقر وضع البصرة بعد الحروب الطاحنة التي جرت فيها، فقد كانت سبّاقة في إنشاء أول مدرسة للغة، ولا يستقيم ركنُ اللغة إلا من خلال الرجوع إلى القرآن الكريم والحديث النبوي والشِّعر العربي، لذا فإنّ الحديث يعتبر مادةً دسمة لا يستغني عنها اللغويون، ولذلك نشأ تدوين الحديث والاهتمام به على جميع المستويات، والتي منها الرواية والإجازة، ووضع ضوابطه.

وقد جمعت البصرةُ بين كثيرٍ من العلوم، كاللغة والتاريخ والتفسير والحديث وغير ذلك، وهذا مما جعلها تشكّلُ ثقلاً علميًّا، وتكون حاويةً لجميع أنواع العلوم والفنون، وإنّ وجود مجموعةٍ من كبار العلماء المعاصرين لابن مَعْمَر البحراني، لا بد وأن يكوّن عطاءً علميًّا ونوعيًّا في ثقافته وعطائه، ثم إنّ المجموعة التي تلقّى وروى عنها والذين حازوا درجةً من الثِّقة عند المحدّثين له أثره في عطائه، كخالد بن الحارث الباهلي، وروح بن عبادة القيسي، وحبان بن هلال الباهلي وغيرهم، يضاف إلى ذلك المجموعة التي نقلت عنه، فإنّ الذين نقلوا عنه هم من كبار علماء الأُمّة في علم الحديث وعلى رأسهم، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ومحمد بن إسماعيل البخاري، ومحمد بن عيسى الترمذي وغيرهم كثير[٢٤]، أيضًا هذا له أثره، حيث كما ذكرنا في قسم (وثاقته) أنّ معظم المحدِّثين وثَّقُوه،

ولم أرَ قولاً يطعنُ فيه، ولعل أقلَّ كلمةٍ قِيلتْ بحقِّهِ هي (لا بأس به)، مما يعني أنه حاز على درجةٍ من الثِّقَةِ عند المحدِّثِين أهَّلَتْه بأن يكون أحدَ الشخصياتِ التي يؤخذ عنها العلم في جانب الرواية.

الهوامش:

❖ باحث في تاريخ وتراث الأحساء، المملكة العربية السعودية.

(١) وأقصد من تلك الكتب على سبيل المثال: كتاب: **منتظم الدرين فِي تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين**، للشيخ محمد علي التاجر البحراني (ت ١٣٨٧هـ)، وكتاب: **مطلع البدرين فِي تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين** للحاج جواد الرمضان الأحسائي (معاصر)، والذي طبع الجزء الأول والثاني فقط من كتابه آنف الذكر.

(٢) **تاريخ مدينة دمشق**، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ابن عساكر) (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ (١٩٩٨م)، ٢٢٧/٨ + ٦٠/١٠ + ١١٦/٥٤.

(٣) **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، المكتبة الإسلامية، استانبول (تركيا)، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ (١٩٥٥م)، ٣٣/٢١٦/١ (٢- كتاب الطهارة، ١١- باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء).

(٤) **الأنساب**، عبدالكريم السمعاني (٥٦٢هـ)، تقديم وتعليق: عبدالله البارودي، دار الجنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م)، ٢٨٨/١ + **الجرح والتعديل**، الرازي، ٤٥٣/١٠٥/٨.

(٥) **سنن النِّسَائِي بشرح السيوطي وحاشية السندي**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النِّسَائِي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ، ٤١١٤/١٣٦/٧.

(٦) **معجم البلدان**، ياقوت بن عبدالله الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م)، ١/ ٣٤٧ (باب الباء والحاء).

(٧) **تهذيب التهذيب**، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٥٢٨ هـ)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م)، ٩/٤١٢/ ٧٥٥ (حرف الميم).

(٨) **المعين في طبقات المحدِّثين**، مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (أبو عبدالله)، تحقيق: د. همام عبدالرحيم سعيد، دار الفرقان، عمّان، ط١، ١٤٠٤هـ، ٢٤/ ١١٤٦.

(٩) **السنن الكبرى**، النسائي: ٥/٤٤٠/ ٩٤٦٣ + مشاهير علماء الأمصار، محمد بن حبان البستي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، (١٢٧٢).

(١٠) **تهذيب التهذيب**، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٥٢٨ هـ)، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م)، ٩/٤١٢/ ٧٥٥ (حرف الميم).

(١١) **خلاصة عبقات الأنوار**، السيد علي الحسيني الميلاني، مطبعة سيد الشهداء، قم، ١٤٠٦هـ، ٤/ ١٢٨. حديث السفينة المروي عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: (مثل أهل بيتي فِيكم كسفِينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق وهوى). ولم يذكر صاحب خلاصة العبقات أيّ مصدرٍ يشير إلى رواية ابن مَعْمَر البَحْرَانِيّ لحديث السفينة.

(١٢) **تذكرة الحفّاظ**، شمس الدين محمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، دار إحياء التراث، بيروت، ٢/٥٦٣/ ٥٨٧ + تاريخ الإسلام ووفِيات المشاهير والأعلام، شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م)، ١٩/ ٣٢٠.

(١٣) **الشمائل الْمُحَمَّدية**، مُحَمَّد بن عيسى الترمذي (٢٧٩هـ)، تحقيق: أسامة الرحال، دار الفيحاء، دمشق، ط١، ١٤٢١هـ (٢٠٠١م)، ١٠.

(١٤) ترجم لابن مَعْمَر البَحْرَانِيّ أبو الحجاج المزي فِي **تهذيب الكمال** ٢٦/٤٨٦/ ٥٦٢١، وذكر جملةً ممن روى عنهم ورووا عنه.

(١٥) **الإكمال فِي رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف فِي الأسماء والكنى**، علي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ٤٢٢/١.

(١٦) **تسمية مشايخ أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي النِّسَائِي وذكر المدلِّسين** (وغير ذلك من الفوائد)، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي النِّسَائِي، تحقيق: الشريف حاتم بن عارف العوني، دار عالم الفوائد ـ مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٣هـ، ٥٤/١.

(١٧) **معجم البلدان**، ياقوت بن عبدالله الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م)، ٣٤٧/١ (باب الباء والحاء).

(١٨) **الأنساب**، عبدالكريم السمعاني: ٢٨٨/١.

(١٩) **الجرح والتعديل**، عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد (الهند)، ط١، ١٣٧٢هـ (١٩٥٣م)، ٤٥٣/١٠٥/٨.

(٢٠) **تهذيب التهذيب**، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٥٢٨ هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م)، ٧٥٥/٤١٢/٩ حرف الميم.

(٢١) **تسمية مشايخ أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي النِّسَائِي وذكر المدلِّسين** (وغير ذلك من الفوائد)، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي النِّسَائِي، تحقيق: الشريف حاتم بن عارف العوني، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٣هـ، ٤٣/٥٤/١.

(٢٢) **المؤتلف والمختلف**، الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي (ت ٣٨٥هـ)، (باب: البَحْرَانِيّ والنجراني).

(٢٣) تهذيب التهذيب، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٥٢٨ هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م)، ٧٥٥/٤١٢/٩ (حرف الميم).

(٢٤) أحبّ التّنويه بأنّ هناك دراسةً موسّعةً رصدتُ فيها مرويات البحراني من كتب الحديث وتصنيفها، والتعريف بالرواة الذين نقل عنهم، والذين تلقّوا عنه، وإنما اخترتُ هذه الترجمة فقط من تلك الدراسة التي أعددتها في سيرته ومروياته، ستخرج للنور حال الانتهاء من المراجعة.

الأختام منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي في الشام

بقلم: د. جاسم محمد عيسى الجبوري*

أولاً– المقدمة:

امتازت حضارة بلاد ما بين النهرين عن بقية الحضارات القديمة بصنف معيّن من الآثار هو الأختام، وهو عبارة عن قطعة من الحجر أسطوانية أو منبسطة الشكل، ذات ثقب في وسطها، يخترقها ليسهل حملها، وتحفر على سطحها بصورة معكوسة مشاهد ورسوم، وعند دحرجتها على الطين تظهر النقوش بشكل بارز وواضح.

وإنّ صناعة هذه الأختام من السمات الحضارية البارزة لبلاد الرافدين، إذ تمثّلت في هذه الصناعة دقة الفن وأصالته، حيث استطاع الفنان أن يجمع بين موضوع الختم وإجادة صناعته في آن واحد، فأبدع في صياغة الختم الذي صنعه ونحته وصوّره ليعطي مفهومًا اجتماعيًّا له مدلولاته، وقد أصبحت هذه الأختام أداة التعرف الرسمي للعلاقات والمبادلات الشخصية والقانونية. ومن الأسباب التي حملتني لكتابة هذه الدراسة لسدّ

نقص وتوضيح الترابط التراث العربي والإسلامي في كيفية ظهور الأختام، وكيف آلت في العهود الإسلامية. وتناولت في البحث مفهوم الختم وماهية العمل فيه، والبدايات الأولى لظهور وتطور استعمال الأختام، وكيفية النشأة وتطور الكتابة على الختم، ثم أوضحت الفرق ما بين الختم المنبسط والأسطواني وأيهما الأسبق في الوجود.

وتطرقت إلى أنواع الأحجار التي استعملت في صناعة الأختام ووظيفتها وأهمية استعمالها، وناقشت الأختام الإسلامية وتطورها وأهميتها وكيفية استعمالاتها والمواد التي صنعت منها في العصر الأسلامي وأهميتها بحيث أصبح للختم ديوان يسمى ديوان الخاتم ليكون مسؤولاً عن كل المراسلات التي تصدر عن الخليفة وترد إليه وتحفظ نسخ من هذه المراسلات بعد ختمها على الشمع أو الطين في هذا المكان الذي أصبح ديوانًا، ثم قمت بعمل جدول تحليلي بالأسماء التي حملتها أصحاب الأختام من عهد الرسول محمد ﷺ والخلفاء الراشدين حتى نهاية خلفاء بني أمية. ودرست مفردات هذه النصوص المكتوبة في هذه الأختام في كلا العهدين الراشدي والأموي، فظهر الارتباط القوي والالتزام بمغريات الدنيا وشهواتها وبين النزوع إلى الآخرة والارتباط بأسماء الله الحسنى وسنن رسوله العظيم، وهما طرفي نقيض ظهرا جليًّا من خلال ما كانوا يؤمنون به من ارتباط أعمالهم بين الدنيا أو الآخرة، ومن استطاع التوفيق بينهما إلاّ من رحم ربي.

وأنهيت بحثي بخاتمة، والله ولي التوفيق.

ثانيًا- مفهوم الختم:

الختم هو عبارة عن قطعة أسطوانية يخترقها ثقب اختراقًا طوليًّا في الغالب، ويتراوح متوسط طول الختم عادة بين خمسة وسبعة سنتمرات، لكن قطره لا يتناسب مع الطول بشكل ثابت فيبلغ حوالي نصف الطول، يجري عادة نقوش وأشكال معكوسة وغائرة في السطح الخارجي للإسطوانة وتظهر هذه الأشكال ناتئة فيما لو سحبنا الأسطوانة فوق مادة طرية وأنّ القدماء يستخدمون الطين كمادة طرية لسحب الأختام عليها، فيفسح الثقب المجال لوضع الختم في مغزل معدني أو تثبيته في إبرة بواسطة سلسلة معدنية أو خيط، وكذلك يمكن تكوين جسم حيواني أو قولبة معيّنة في إحدى نهايتي الختم الأسطواني مع إحداث مثقب يخترقها وتثبيت عقدة خيط في الداخل، وذلك لإفساح المجال بطريقة أخرى لتعليق الختم[1].

وتبدو لنا مثل هذه الأعمال الفنية الدقيقة غريبة وطريفة، وفي الواقع تحتفظ المتاحف والمجموعات الخاصة بالآلاف منها، وهي تشهد على الأهمية الكبيرة التي كانت تتمتع بها الأختام ذات يوم، ونحن لا نعرف موطنًا آخر لأمثال هذه القطع، والغاية التي صنعت من أجلها غيّر عالم الحضارة الشرقية القديمة فلا حضارات جنوب ووسط أمريكا ولا حضارة الشرق الأقصى ولا حضارة أفريقيا أبدعت نظيرًا مشابهًا لأختام الشرق الأدنى القديم[2].

وإن الختم -هذه القطعة الصغيرة- غالبًا ما كان يصنع من الحجر ونادرًا من المعدن، وقد صنع من العظم والعاج والمحار والفخار ومن عجينة الفرت

أيضًا[٣]. ومن الجائز أنه قد صنع من الخشب كذلك، وحفرت على هذه القطع الصغيرة نقوش وزخارف مختلفة عدت إشارات وعلامات خاصة تدل على صاحب الختم وتعنيه[٤]. وهناك عدد ليس بالقليل من الأختام تحمل كتابات مسمارية تتضمن أسماء أشخاص اعتياديين، وكذلك أسماء شخصيات بارزة مثل الملوك والأمراء والحكام، وفي هذه الحالة يكون تاريخ الختم واضحًا تمامًا، كما أنه توجد بعض الأختام تحمل أسماء آلهة ظهرت وعبدت في فترات معيّنة معروفة، وفي مثل هذه الحالة يمكن الاستفادة من الختم في تحديد الفترات التاريخية ولو بشكل نسبي وليس مطلقًا، وكذلك من ملاحظة أسلوب الكتابة وشكل الخط يمكن تحديد الفترة الزمنية للختم[٥].

ثالثًا– البدايات الأولى لظهور وتطور استعمال الأختام:

لقد عرف الإنسان الأختام قبل اختراعه الكتابة كوسيلة للتعريف بنفسه والتأمين على ممتلكاته الخاصة. ولقد كان سكان العراق القدامى أول من استعمل الأختام[٦].

وانتقلت منهم إلى المناطق المجاورة حتى وصلت إلى مصر واليونان غربًا وإلى الهند في موهنجدار وشرقًا. وظهرت أول الأمر الأختام المنبسطة وبشكل ساذج في العراق في أول الألف السادسة ق. م. أو ربما قبل ذلك بقليل في دوري جرمو وحسونه وتطور استعمالها خلال الألف الخامسة ق.م. وفي النصف الثاني من عصر الوركاء، أي حوالي ٣٢٠٠ق.م.

ظهرت الأختام الأسطوانية وشاع استعمالها وقبل استعمال الأختام المنبسطة، وذلك لسهولة دحرجة الختم الأسطواني على الطين، إلاّ أنّ الأختام المنبسطة عادت ثانية إلى الظهور وكثر استعمالها إلى جانب الختم الأسطواني، وفي القرن السابع ق.م أصبحت الأختام المنبسطة أكثر شيوعًا، وفي النهاية أزاحت الأختام المنبسطة الأختام الأسطوانية(٧).

وفي نهاية العصر الحجري الوسيط اهتدى الإنسان العراقي القديم إلى الزراعة التي أصبحت بعد ذلك في العصر الحجري الحديث أساس حياته الاقتصادية، فكان لها الأثر الكبير في تطوره والتقدم به نحو الأفضل، إذا استقر الإنسان البدائي في القرى وشيّد البيوت بجوار حقول زراعية، واهتم برعي الحيوانات وتربيتها(٨)، واستعان بهذين الموردين في تنظيم أمور معيشته وأحواله الاقتصادية(٩).

وبعد أن استقر الفلاح في قطعة الأرض التي اختارها لتكون حقلاً له ظهرت بدايات فكرة الملكية الفردية(١٠)، وخاصة بعد زيادة الغلات الزراعية وتنوّع المنتوجات الحيوانية(١١)، وبدأ الفلاح يفكر بما زاد عن حاجته في تلك الغلات فخزنها في جرار وأوعية ليستعملها عند الحاجة، ثم تطور تفكيره بعد أن بدأ عملية المقايضة مع غيره من الفلاحين بما زاد عنه في مواد مقابل مواد أخرى لا ينتجها حقله، وهكذا كانت أولى العمليات التجارية وبداية التطور الاقتصادي، وأنّ هذا التطور الاقتصادي يحتاج إلى خزن هذه الغلات والمنتوجات في جرار عديدة، وأنّ هذه البضائع

الكثيرة وضعها في مخزن واحد قد يؤدي إلى الخلط بينها فلا يمكن تمييز ما يملكه كل شخص عما يملكه غيره فتضيع حقوق أصحاب البضائع في بضائعم وأموالهم، ولذلك كان لابد من ابتكار طريقة لتمييز ما يملكه شخص عما يملكه غيره وتأكيد حقه، فابتكر الختم لهذا الغرض[١٢].

وعندما يريد الشخص خزن مواده يضعها في جرار وأوعية ثم يغطّي فوهة الجرّة أو الإناء بقطعة من النسيج أو الجلد يرزمها حول الرقبة ويلفّ حولها حبلًا لتثبيت قطعة النسيج أو الجلد، ثم يأتي بكتلة من الطين الطري ويضعها فوق الفوهة والرقبة وإلى حد كتف الجرّة أو الإناء، ثم يضغط بختمه عدة مرات على الفوهة وحول الرقبة فتظهر نقوش ختمه على الطين.

أمّا بالنسبة للبضائع التي كان يجعلها بشكل رزم ويلفّها بقطعة من الجلد أو الحصير فكان يربطها بحبل ثم يأتي بكتلة من الطين الطري ويثبتها في طرف الحبل أو على أيّ جزء منه ثم يسويها بيده لتكون ذات شكل مستطيل أو بيضوي أو أيّ شكل منتظم آخر، ثم يقوم بدفع الكتلة الطينية بختمه عدة مرات. وبعد أن تجفّ الكتلة الطينية لا يمكن تغيير الدمغة أو التلاعب بمحتويات الجرة إلا بعد كسر تلك السدادة أو الكتلة الطينية[١٣]، وبذلك يضمن صاحب المواد المخزونة حقه في ممتلكاته ويتفادى اختلاطها مع ممتلكات غيره الموجودة في المخزن المهيئة لعملية البيع أو المقايضة.

رابعًا– نشأة وتطور الكتابة على الختم:

ظهرت الكتابة المسمارية على الأختام بشكل واضح ومميز منذ عصر

فجر السلالات الثانية، أي منذ حوالي ٢٨٠٠ق.م. وفي الحقيقة إنّ الكتابة على الأختام قد ظهرت قبل هذه الفترة ولكن كانت بشكل بدائي وغير واضح أو مميز، فقد عثر في مدينة أور على مجموعة من طبعات أختام تحمل علامات ومقاطع كتابية نظمت بأشكال زخرفية هندسية يصعب فهم معانيها، ولكن يمكن تمييز بعض علاماتها الصورية، وهي تعود إلى عصر فجر السلالات الأولى (٣٠٠٠-٢٨٠٠)ق.م. وعلى هذا الأساس يمكننا اعتبار هذه الكتابات على الأختام أقدم كتابات على الحجر وصلت إلينا حتى هذه الفترة[١٤]. وقد يسأل البعض عن سبب ظهور الكتابة على الأختام الأسطوانية منذ عصورها الأولى واستمرارها في العصور اللاحقة أكثر من ظهورها على باقي المصادر الأثرية ما عدا الرقم الطينية، وقد يكون الجواب هو أهمية الأختام الاجتماعية في تعيين الهوية الشخصية ثم أهميتها الدينية لكونها أحيانًا تعاويذ ورقى تحمي مالكيها، أو لأنها قطع نذرية تهدى إلى الإلهة والمعابد، ثم لأهميتها السياسية حين تكون أختامًا إدارية تعود لموظفين رسميين في الدولة فتظهر عليها أسماء الملوك والأمراء، وأحيانًا تظهر عليها أشكالهم الشخصية أيضًا[١٥]. ذلك جعل الكتابة أحيانًا أمرًا ضروريًّا على الأختام وسببًا في استمرارها أيضًا، والكتابة على الأختام مثل الكتابة على الرقم الطينية قد مرت بعدة مراحل تطورية، وقد تميزت كل فترة زمنية بميزات وصفات خاصة بها من حيث شكل الخط وتنظيم الكتابة على الختم، وكذلك من حيث مضامين تلك الكتابات ومعانيها[١٦].

خامسًا- ظهور الختم المنبسط والأسطواني:

من خلال نتائج التنقيبات الأثرية التي أجريت في مواقع القرى الزراعية القديمة يتبين لنا أنّ الأنواع الأولى من الأختام (وهي الأختام المنبسطة) بدأت بالظهور منذ الألف السادس ق.م. فقد عثر عليها في قرية حسونة[١٧] التي تقع على بعد ٨ كم شمال شرق ناحية الشورة و٣٥ كم جنوب مدينة الموصل، وظهرت أيضًا في موقع تبة، الذي يقع في محافظة نينوى على مسافة (٦-٧) كم جنوب غرب مركز قضاء تلعفر، ووجدت كذلك في موقع تل الصوان الذي يقع على ضفة دجلة اليمنى ويبعد نحو ١١ كم جنوب بلدة سامراء، وهذه المواقع قرى زراعية بدائية تعود إلى فترة زمنية واحدة هي عصر حسونة[١٨]. وقد استمر استعمال الختم المنبسط في العصور الحضارية اللاحقة لعصر حسونة وقد زاد استعماله وانتشر بشكل واضح في عصر حلف والعبيد. فمن عصر حلف عثر على عدة أختام في تبة كورة[١٩] التي تقع على بعد ٢٠ كم تقريبًا شمال مدينة الموصل. ومن عصر العبيد عثر عليه في الأربجية التي تقع على مسافة أربعة أميال إلى شمال شرقي نينوى، كما استعمل أيضًا في عصر الوركاء وجمدة نصر ثم أصبح نادرًا في عصر فجر السلالات وما بعده[٢٠].

لقد انتشر استعمال الختم المنبسط في المنطقة الشمالية في العراق القديم أكثر مما هو في المنطقة الجنوبية، كما انتقل إلى المناطق المجاورة والبعيدة في ذلك الزمان، حيث استعمل في بلاد عيلام وكذلك في سوريا. كما وصل

إلى مصر والأناضول[٢١]، وعثر عليه في منطقة الخليج العربي وفي بلاد السند أيضًا[٢٢].

وفي نهاية العصر الحجري الحديث حدثت عدة تطورات عظيمة منها التطور الزراعي ومعرفة التصدير والتطور الحِرفي ونشوء بدايات المدن، كل ذلك أدّى إلى تطور اقتصادي كبير فاستقرت جوانب الحياة الأخرى بالازدهار والتقدم والتطور[٢٣]، وفي هذه الفترة ظهر نوع ثان من الأختام وهو الختم الأسطواني، وهو غالبًا قطعة حجرية أسطوانية الشكل مثقبة طوليًّا للتعليق.

لقد ظهر الختم الأسطواني لأول مرة في مدينة الوركاء وبالتحديد في حدود ٣٥٠٠ ق.م.[٢٤] وربما كانت الأختام الأسطوانية من ابتكارات أهل مدينة الوركاء؛ لأنه حتى الآن لم يعثر على أختام أسطوانية تعود إلى الفترة نفسها من مدينة الوركاء في موقع آخر[٢٥]. إنّ الأختام الأسطوانية التي عثر عليها في مدينة الوركاء تمتاز بالجودة والدقة في الصناعة وبجمال الموضوعات حتى إنها أثارت شكوك العديد من الباحثين في كونها من الابتكارات العراقية الصرف[٢٦].

سادسًا- أنواع الأحجار التي استعملت في صناعة الأختام:

من أهم أنواع الأحجار التي صنعت منها الأختام هي ما يأتي:

١	الحجر الرملي	Sand Stone	٢	الصخر البركاني	Basalt

٣	الحجر الجيري	Gypsum	٤	الحجر الكلسي	Caloite
٥	الديورايت	Diorite	٦	الحجر الجيري	Lime Stone
٧	حجر الحية	Serpentine	٨	الهتمايت	Hematite
٩	الحجر الصابوني	Steatite	١٠	الرخام الشمعي	Alabaster
١١	اللازورد	Lapis Lozoli	١٢	العقيق	Agate
١٣	الحصى	Chert[٢٧]			

أمّا بالنسبة لصناعة الأختام ففي المراحل البدائية الأولى ربما استعملت أدوات من الحجر الصلب مثل الصوان في قطع الأحجار الرخوة غير الصلبة مثل المرمر والحجر الكلسي وكذلك المحار والعظم، واستعمال حجر الصوان بهيئة مقاشط كان منتشرًا ومعروفًا في حضارة العراق في العصور السابقة. أمّا الأحجار الصلبة مثل العقيق والكوارتز فربما استعملت في صناعتها آلة قوية من النحاس الذي كان معروفًا آنذاك[٢٨].

ويبدو أنّ الأدوات الأولى التي استعملت لذلك الغرض كانت بسيطة مثل المثقب والإزميل الحجري. وبعد ذلك تطورت الآلات وأصبحت أدوات نحاسية ثم برونزية حتى أصبحت في العهد الآشوري الوسيط من

الحديد، والشاهد الوحيد الذي يعرّفنا ببعض الآلات التي استخدمت في صناعة الأختام هو ما عثر عليه في تل أسمر من آلات وهي إزميل من الفضة مع آلتين مستدقتين من النحاس ومبرد ومثقب صغير يعتقد أنه جزء من آلة أخرى. وجدت هذه الآلات مخزونة في إناء صغير مع عدد من الأختام منها ما تمّت صناعته ومنها ما لم يتمّ بعد إكمالها[٢٩]. ومن المحتمل أنه كانت هناك آلة قد استعملت في صنع الأختام تتألف من قوس وحبل مشدود على القوس وتثبت في وسط الحبل آلة حادة ربما كانت سكينًا صغيرة تحفر حجر الختم بوساطة الدوران، وقد تكون هذه الآلة متطورة عن المثقب اليدوي الدوار الذي يعتقد أنه كان يستعمل في العصور السابقة[٣٠].

ومن الملاحظ أنّ صناعة الأختام تحتاج إلى دقة وعناية وتركيز؛ لأنّ تقطيع الأحجار وجعلها على شكل مستطيل أو أسطواني ليس بالأمر السهل، ويضاف إلى ذلك أنّ صانع الختم حفر نقوشًا على الختم بشكل معكوس لكي يظهر الشكل صحيحًا عند طبعه على الطين الطري ولابد أنّ هذه العملية كانت تحتاج إلى مهارة عالية وخصوصًا إذا كانت الأختام صغيرة الحجم وعلى درجة عالية من الدقة في التفاصيل.

إنّ المتمعّن في صناعة الأختام قد تثيره الحيرة في طريقة الصناعة والمدة التي استغرقها الصناع في إنجاز الختم الواحد، مع العلم أنّ الصانع كان يفتقر إلى كثير من أدوات مساعدة على التكبير، والتوضيح مثلما توجد

اليوم العدسات المكبّرة، لذلك مما يجعلنا تنساءل عن ثمن الختم الواحد وخاصة إذا كان من الحجر الثمين مثل العقيق واللازورد كما نتساءل عن ذلك الصانع الماهر الذي صنعه[٣١].

سابعًا- وظيفة الختم وأهمية استعمالاته:

إنّ وظيفة الختم الأساسية هي تحديد الملكية ثم تعيين الهوية الشخصية لصاحبه، واستمرت هذه الوظيفة في جميع العصور التاريخية ولو أنّ تعيين الهوية الشخصية أصبحت هي الصفة الغالبة في العصور اللاحقة، كما أنّ الصفة الدينية للختم واستعماله تميمة لصاحبه توضحت في العصور التاريخية أكثر من العصور التي سبقتها حيث إنّ تزايد المشاهد الدينية عليها وورود أسماء آلهة متعددة عليها يوضح وظيفتها الدينية، هذا فضلاً عن ورود نصوص مكتوبة عن إهداء أختام خاصة للمعابد وللآلهة أيضًا. أمّا من الناحية العلمية فإنّ استعمالات الختم تزايدت وتعددت بتعدد متطلبات الحياة وتقدمها، فضلاً عن دمغ فوهات الجرار والأواني، واستعمل الختم أيضًا في دمغ النصوص والعقود الاقتصادية والمعاملات التجارية لكي يعطيها الصفة القانونية والشرعية[٣٢]. كما استعمل الختم أيضًا في دمغ النصوص الإدارية والقانونية، حتى الوثائق والمعاهدات السياسية[٣٣]، كما أنّ بعض الرسائل الشخصية هي أيضًا قد دمغت بالأختام، وتقرأ في رسالة شخصية من ولد إلى والده يطلب منه دمغ الجواب بختمه لكي يطمئن أنه من والده، كل ذلك يوضح لنا مدى أهمية

الختم والدور الذي أدّاه في حضارة العراق القديم[٣٤].

ويبدو أنّ أهمية الختم وضرورة استعماله في الحياة اليومية جعلت امتلاكه أمرًا ضروريًّا حتى إنّ بعض الباحثين يعتقدون أنّ كل شخص كان يمتلك ختمًا خاصًّا به، وأنّ امتلاك الختم لم يكن وقفًا على طبقة اجتماعية معيّنة[٣٥]، وسواء ملكه جميع الأشخاص أو نسبة كبيرة منهم فإنّ هذا يوضح أهميته التي نجمت عن تعدد استعمالاته وضرورتها بالنسبة للشخص، وهذا بالطبع جعل الختم مادة متوفرة بين أيادي الآثاريين. ولقد عثر على أعداد كبيرة من الأختام الأسطوانية ومن مواقع متعددة مما يوضح سعة انتشارها حتى إنه لا يخلو منها موقع أثري إلاّ نادرًا.

كما أنّ طبيعة المادة الرئيسية التي صنعت منها الأختام وهي الأحجار وما تمتاز به من قوة وصلابة ومقاومة للتأثيرات الطبيعية جعل أغلبية الأختام تبقى سالمة حتى ما صنع منها من العظام والمحار والمعادن، عثر عليها وهي بحالة جيّدة، إلا إذا صادفتها عوامل التلف مثل الأملاح والرطوبة وإذا وجدت مع مواد تسبب التأكسد فإنّ التفاعلات الكيمياوية تحدث فيها بعض التشوهات التي قد تغيّر من معالمها[٣٦].

وقد استخدم الختم في أنواع عديدة من العقود والمعاملات الاقتصادية مثل:

١- معاملات بيع وشراء الأراضي والحقول والممتلكات أو المواد الغذائية من الحبوب والزيوت أو أية مادة أخرى. وأيضًا بيع العبيد والإماء

والحيوانات.

٢- عقود إيجار تضمنت اتفاقيات على إيجار بيوت أو حقول أو عبيد أو حيوانات[٣٧].

٣- عقود قروض، أي عقود الديون التي تسجل فيها أنواع المواد وكميتها وتاريخ تسلمها وموعد تسديد تلك الديون[٣٨].

٤- وصولات التسلم: وهي ما تعرف بالبلل، وهي أشكال مختلفة، منها الكروي ومنها المستطيل ومنها الهرمي، وهي مصنوعة من الطين تعلق في طرف البضائع والمواد المقروضة وغالبًا ما يكتب عليها مقدار الكميات المستلمة من المواد مثل الحنطة والشعير أو أية مادة أخرى، وكذلك أسماء الأشخاص الذين تسلّموا تلك المواد وطبعات أختامهم، وأحيانًا تكون خالية من الكتابة ولكن تحمل دمغات أختام أصحاب الشأن فقط[٣٩].

ثامنًا- الأختام الإسلامية تطورها وأهميتها:

احتلّت الأختام في الفترة الإسلامية أهمية بالغة وهي امتداد طبيعي للأختام في العصور القديمة وما آلت إليه من تطور في العهود اللاحقة بحيث أصبح لكل خليفةٍ ووالٍ وقاضٍ وكثيرٍ من الأمراء ختم خاص به حتى إنّ بعض الفقهاء درسوا شرعية استعمال الأختام وأشاروا إلى أنّ التختم بالفضة يعدّ سنّة للرجال ذوي المكانة الشرعية والسياسية في المجتمع[٤٠].

وأول ختم عرف في الإسلام هو ختم الرسول محمد ﷺ الذي عمل من الفضة، يبلغ وزنه مثقالين، ختم به الرسائل السياسية التي بعثها إلى ملوك عصره يدعوهم إلى الإسلام كتبت عليه ثلا ث كلمات هي (محمد رسول الله) في ثلاثة أسطر تقرأ من أسفل إلى أعلى[٤١]. وانتقل هذا الختم بعد وفاة الرسول محمد ﷺ إلى أبي بكر الصدِّيق ﷺ فاستعمله حتى وفاته وانتقل منه إلى عمر بن الخطّاب ﷺ، ومن بعده إلى عثمان بن عفّان ﷺ، واستعمله نحو ست سنين ثم سقط منه في بئر أريس[٤٢]، وكان استعمالهم له تبرّكًا، إذ كان لكل منهم ختم خاص به حيث ذكر ابن سعد لَمّا رجع رسول الله ﷺ من الحديبية في ذي الحجة سنة ست، أرسل الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكتب إليهم كتبًا فقيل: يا رسول الله إنّ الملوك لا يقرأون كتابًا إلاّ مختومًا، فاتخذ رسول الله ﷺ يومئذ خاتمًا من فضة، فصّه فيه نقشة ثلاثة أسطر: محمد رسول الله وختم به الكتب[٤٣].

يذكر ابن عبدالبر: "وذكر الطحاوي، عن علي بن معبد، عن إبراهيم بن محمد القرشي، عن عمرو بن يحيى بن سعيد الأموي، عن جدّه، قال: قدم عمرو بن سعيد مع أخيه على النبي ﷺ، فنظر إلى حلقة في يده فقال: ما هذه الحلقة في يدك؟ قال: هذه حلقة صنعتها يا رسول الله. قال: فما نقشها؟ قال: محمد رسول الله. قال: أرنيه، فتختمه رسول الله ﷺ ونهى أن ينقش أحد عليه، ومات وهو في يده، ثم أخذه أبوبكر بعد ذلك فكان في يده، ثم أخذه عمر فكان في يده، ثم أخذه عثمان فكان في يده

عامة خلافته"، رضوان الله عنهم أجمعين، حتى سقط من يد الخليفة عثمان في بئر أريس ولم يلق له أثر بعد أن نزحوا البئر[٤٤].

وإنّ أبا بكر الصدِّيق كتب على ختمه (نعم القادر الله)[٤٥]، وفي "**تهذيب المزني**" أنّ نقش ختم عمر (آمنت بالله مخلصًا)[٤٦]. وأخرج ابن عساكر عن عمرو بن عثمان بن عفّان قال: كان نقش خاتم عثمان (آمنت بالذي خلق فسوّى)[٤٧]. واستمر استعمال الأختام بعدهم فكان ختم الإمام علي بن أبي طالب ﷺ (الملك لله الواحد القهار)[٤٨]، وهكذا استعمل الخلفاء والولاة والقضاة في العهود الإسلامية اللاحقة الأختام وشاع استعمالها بين عامة المسلمين.

تاسعًا- استعمال الأختام الإسلامية:

لقد استعملت الأختام في الفترة الإسلامية لأغراض شتى منها توقيع المعاملات الرسمية من قِبَل الخلفاء والولاة والعمال والقضاة فكان لكل منهم ختم خاص به نقش عليه عبارة معيّنة تميّزه عن غيره تثبت شخصية الموقع، كما توجد أختام شخصية استعملها الأفراد لأغراضهم الخاصة، وهناك أختام خاصة بشؤون جباية أموال الدولة وتوزيعها سجلت على بعضها أسماء الخلفاء والولاة وتاريخ الختم شأنها في ذلك شأن المسكوكات[٤٩]، ونقش على بعضها نوع المال المجبى كجباية أموال الجزية نقشت على الختم كلمة (جزية)، وقد عثر في مصر سنة ١٩٦٠م على ختم من الرصاص مع مجموعة من المسكوكات في حفائر الفسطاط

والمسجلة برقم (٢٠٤٤٢) في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة كتب على هذا الختم الوجه الأول جز/ية سنة تسعين، والوجه الثاني وم/ص/ر أبيو/ه.

وتنص هذه الكتابة على جزية سنة تسعين دفعت في أيام قرة ابن شريك، والي مصر، سنة ٩٠-٩٦ للهجرة والذي اتخذ إجراءات مشددة لتقويم مركز الدولة بعد أن أخذ الكثير من الناس يتهرب من الضرائب الشرعية التي تفرضها الدولة على الأفراد(٥٠).

وإلى جانب الأختام الشخصية والأختام الرسمية لمحررات الدولة ووثائقها وأحكام الجزية هناك نوع من الأختام تدمغ بها الجرار أو أواني المكاييل الزجاجية أو القوارير الطبية، ففي الجرار الإسلامية يختم البدن بعدة أختام تشير بعضها إلى اسم الصانع وبعضها الآخر إلى القرية أو الكورة التي وردت منها الآنية(٥١).

أمّا أختام المكاييل فهي أختام زجاجية تلصق بالبدن أو المقبض أو حافة الآنية الزجاجية القصد منها بيان سعة المكيال ومقدار وزن المكيل وأحيانًا يصحب ذلك اسم الوالي وتاريخ صناعة المكيال وهناك نوعان من أواني المكاييل الزجاجية تحمل أختامًا تشير إلى أنها مخصصة للعقاقير الطبية.

وكل هذه الأختام سواء أكانت على الجرار أو الأواني الزجاجية للمكاييل كانت لها طبعات في وضعها الصحيح، أي كتابتها كوفية تسير سطورها أفقية، والواقع أنّ أغلب الأختام قد كتبت بالخط الكوفي لما له

من خاصية تسهّل حفره على المواد الصلبة واعتدال زوايا حروفه[٥٢].

عاشرًا– ديوان الخاتم:

لم يكن القصيد من الختم أن يوضع الخاتم في أدنى الرسالة، وإنما كانت تطوى وتلصق طرفها بالشمع أو الطين الأحمر الذي يطبع عليه، وهو طريّ خاتم الخلافة ويترك حتى يجفّ، فإذا فتحت الرسالة من قبل أن تصل إلى مرجعها عرف ذلك، وكان أكبر دواوين الدولة يقوم موظفوه بنسخ أوامر الخليفة وإيداعها هذا الديوان بعد أن تحزم بخيط وتختم بالشمع بخاتم صاحب الديوان كما هو الحال في قلم الأرشيف[٥٣]. وأول من وضع هذا الديوان معاوية، وقد ذكر الصولي في "**أدب الكاتب**" أنّ معاوية حين أفرد ديوان الخاتم ولاه عبدالله بن أوس الغساني وسلّم الخاتم إليه، وكان منقوشًا على فصّه (لكل عمل ثواب). وسبب ذلك أنه كتب لعمرو بن الزبير بمئة ألف درهم إلى زياد عامله على العراق، ففضّ عمرو الكتاب وجعلها مئتي ألف درهم. فلمّا رفع زياد حسابه، قال معاوية ما كتبت له إلا بمئة ألف درهم، وكتب إلى زياد بذلك وأمره باسترجاع المئة ألف منه، وأن يعتقله بتهمة التزوير، فدفع عبدالله بن الزبير المبلغ إلى معاوية وحصل على إطلاق سراح عمرو، وصارت العادة أن يحتفظ ديوان الخاتم بنسخة عن كل ما يوقع من رسائل وحسابات، وكذلك فعل الولاة، وذلك للرجوع إليها والمطابقة والمقارنة، وخاصة في العصر العباسي حين نكب عدد كبير من الوزراء بدعوة الرشوة والتلاعب بالقيود والغنى غير المشروع.

وأنشأ الأمويون في دمشق دارًا خاصة للمحفوظات الرسمية وكذلك فعل العباسيون، وقد ظل هذا الديوان قائمًا حتى عهد الأمين (٨٠٩-٨١٦م)، على حد قول الجهشياري، بينما يرى فون كريمر وسيّد أمير علي ومتز أنه حل ديوان التوقيع محل ديوان الخاتم في عهد الرشيد (٧٧٦-٨٠٩م) وعرفت الأوامر الصادرة عن هذا الديوان باسم التوقيعات.. ولكن المصادر الأخرى تذكر ديوان الخاتم في عهد المأمون، مما قد يستنتج أنّ ديوان الخاتم بقي قائمًا مع أحداث ديوان التوقيع من الزمن ثم حل الثاني محل الأول[٥٤].

إحدى عشر- المواد التي صنعت منها الأختام الإسلامية:

نقشت الأختام الإسلامية على مواد مختلفة فبعضها نقش على المعادن كالفضة، والحديد والنحاس، وبعضها الآخر نقش على نصوص من الأحجار الاعتيادية كالكلس والحجر الأخضر والكريستال (در نجف) والحجر السيلاني والحصى أو الأحجار الثمينة كالعقيق بأنواعه المختلفة والجزع اليماني ذي الطبقات المتعددة والياقوت واللازورد والفيروزج الأخضر (الشذر)، وذكر أنّ بعض الأختام عملت من الورق والخشب[٥٥].

وكان ختم الرسول محمد ﷺ، وهو أول ختم عرف في الإسلام، صنع من الفضة، وقيل من الحديد المظفور المطلي بالفضة، وقيل من الورق[٥٦]، كما ذكر أنّ ختم عثمان بن عفّان ﷺ الذي كتب عليه (آمنت بالذي خلق فسوّى) عمل له من الفضة[٥٧]، وختم علي بن أبي طالب ﷺ

الذي كتب عليه (الملك لله الواحد القهار) عمل له من الورق[٥٨] (الفضة).

وفي رواية في "الأوائل" للعسكري أنّ معاوية بن أبي سفيان ﷺ عند اتخاذه لديوان الخاتم سلم إلى عبدالله بن أوس الغساني خاتم عليه فص كتب عليه (لكل عمل ثواب)[٥٩]. ولقد زيّنت الأختام في الفترة الإسلامية بأنواع من الزخارف والنقوش المختلفة كأوراق الأشجار والأزهار وتأثرت الزخارف بما شاع من أمور السحر والتنجيم خصوصًا في العهد السلجوقي فظهرت على الأختام الأهلة والكواكب واللآلئ والتنين والحبال المظفورة بأشكال مختلفة[٦٠].

اثنا عشر– جدول باسم الرسول محمد ﷺ والخلفاء الراشدين وفترة حكم كل واحد منهم والعبارات التي وردت على أختامهم:

لقد صنعنا جدولاً لما كتبه الرسول ﷺ والخلفاء الراشدون والأمويون على أختامهم من نصوص أدرجنا كل نص إزاء اسم كل منهم استخرجناها من مصادر تاريخية مختلفة، ونود أن نشير هنا إلى أنّ الأختام الرسمية للخلفاء والولاة فقدت على مر الزمن ولم تصل إلينا ونادرًا ما نجد ختمًا لخليفة أو والٍ في متاحف العالم[٦١].

جدول باسم الرسول محمد ﷺ والخلفاء الراشدين وفترة حكم كل واحد منهم: ١–٤٠هـ/٦٣٢–٦٦٠م

ت	الاسم	التاريخ (هـ/م)	النص المكتوب على الختم
١	الرسول محمد بن عبدالله ﷺ	١هـ/٦٢٢م	محمد رسول الله

٢	أبوبكر الصدّيق ﷺ	١١هـ/٦٣٢م	نعم القادر الله
٣	عمر بن الخطّاب ﷺ	١٣هـ/٦٣٤م	آمنت بالله مخلصًا
٤	عثمان بن عفّان ﷺ	٢٣هـ/٦٤٤م	آمنت بالذي خلق فسوّى
٥	علي بن أبي طالب ﷺ	٣٥هـ/٦٥٦م	الملك لله الواحد القهار

ثلاثة عشر- جدول بأسماء الخلفاء الأمويين وفترة حكم كل واحد منهم والنص المكتوب على أختامهم: ٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٤٩م

ت	الاسم	تاريخ خلافته (هـ/م)	النص المكتوب على الختم
١	معاوية بن أبي سفيان	٤١/٦٦١	لكل عمل ثواب[٦٢]
٢	يزيد بن معاوية	٦٠/٦٧٩	ربنا الله[٦٣]
٣	معاوية الثاني بن معاوية	٦٤/٦٨٣	الدنيا غرور[٦٤]
٤	مروان بن الحكم	٦٤/٦٨٣	العزة لله[٦٥]
٥	عبدالملك بن مروان	٦٥/٦٨٤	آمنت بالله مخلصًا[٦٦]
٦	الوليد بن عبدالملك	٨٦/٧٠٥	ربي لا أشرك به شيئًا[٦٧]
٧	سليمان بن عبدالملك	٩٦/٧١٤	آمنت بالله وحده[٦٨]
٨	عمر بن عبدالعزيز بن مروان	٩٩/٧١٧	اغزو غزوة تجادل عنك يوم القيامة[٦٩]
٩	يزيد بن عبدالملك	١٠١/٧١٩	ربِّ قني الحساب[٧٠]

١٠	هشام بن عبدالملك	٧٢٣/١٠٥	الحكم للحكيم[٧١]
١١	الوليد بن يزيد بن عبدالملك	٧٤٢/١٢٥	يا وليد احذر الموت[٧٢]
١٢	يزيد بن الوليد	٧٤٣/١٢٦	يزيد قم بالحق[٧٣]
١٣	إبراهيم بن الوليد	٧٤٣/١٢٦	توكلت على الحي القيوم[٧٤]
١٤	مروان الثاني بن محمد	٧٤٤/١٢٧	اذكر الموت يا غافل[٧٥]

أربعة عشر- جدول تحليل مفردات نصوص كلمات الأختام في عهد الرسول والخلفاء الراشدين:

ت	النص المكتوب على الختم	المفردات		
١	محمد رسول الله	محمد رسول	الله	
٢	نعم القادر الله		القادر	نعم
٣	آمنت بالله مخلصًا		بالله	مخلصًا آمنت
٤	آمنت بالذي خلق فسوّى		بالذي خلق فسوّى	آمنت
٥	الملك لله الواحد القهار		الملك لله الواحد القهار	

أسماء لفظ الجلالة = ١١

أسماء الرسول ﷺ = ٢

كلمة آمنت = ٢

كلمة نعم = ١

كلمة مخلصًا = ١

نستنتج من هذه المفردات المكتوبة على هذه الأختام أنها انفردت بلفظ اسم الجلالة إحدى عشرة مرة وردت في نصوص هذه الأختام يدلل على ارتباطهم بالخالق القادر الملك الواحد القهار الذي خلق فسوّى ارتباطًا مباشرًا وجميعهم طلقوا الدنيا بالثلاث وشروا الأخرى وساروا على نهج المصطفى في سنّته وتطبيقًا للكتاب الذي أنزل على صدره فهم طلاب دعوة وخريجون من مسجد الهدى مسجد رسول الله ﷺ الذي كان منهاج هدى وصدق وقدوة حسنة في أقواله وأفعاله، فعلى نهجه اقتدوا وعلى سيرته اهتدوا، فكانوا تلاميذ لمدرسة الرسول محمد ﷺ وأصبحوا أعلامًا نيّرة ربطوا أقوالهم بأفعالهم فأصبحوا كالنجوم الزاهرة.

خمسة عشر- جدول تحليل مفردات نصوص كلمات الأختام في عهد الخلفاء الأمويين:

ت	النص المكتوب على الختم	المفردات				
١	لكل عمل ثواب	ربنا	لكل	يا وليد	آمنت	القيامة

٢	ربنا الله	الله	عمل	يزيد	آمنت	الحساب
٣	الدنيا غرور	لله	الدنيا		توكلت	الموت
٤	العزة لله	بالله	يوم		اذكر	الموت
٥	آمنت بالله مخلصًا	ربي	الغزوة			
٦	ربي لا أشرك به شيئًا	بالله وحده	غرور			
٧	آمنت بالله وحده	الحكيم	ثواب			
٨	اغزو غزوة تجادل عنك يوم القيامة	الحيّ	مخلصًا			
٩	قني الحساب	القيوم	اشرك			
١٠	الحكْم للحكَم الحكيم		اغزو			
١١	يا وليد احذر الموت		اغزو			
١٢	يزيد قم بالحق		به شيئًا			
١٣	توكلت على الحيّ القيوم		تجادل عنك			
١٤	اذكر الموت يا غافل		قني			
			احذر			
			يا غافل			

			الحكم			
			للحكم			
			قم بالحق			

أسماء لفظ الجلالة = ٩

عمل الدنيا ومرادفاتها = ١٩

آمنت وتوكلت = ٤

القيامة والحساب والموت = ٤

أسماء الأشخاص = ٢

نتعرّف من خلال تحليل المفردات المكتوبة على أختام الخلفاء الأمويين يظهر لنا أنّ مفردات الدنيا وأعمالها أخذت الركن الأكبر من نصوص أختام الخلفاء مثل يوم وعمل وغزوة وثواب وعقاب وحذر من الغفلة ويا غافل احكم بالحق تقدّر بتسع عشرة مفردة حتى أصبحت ضعف كلمات أسماء الله وصفاته، فكانوا إلى الدنيا أقرب والركن إلى الدعة والترف أطبع، فكانوا يورثون الأبناء في ولاية العهد وهي بدعة ابتدعوها، فالابن يقاتل أخاه وينكر عليه حقه في الميراث والولاية، فكانت من أسباب الفتنة التي أسرعت في نهاية حكمهم، مع علمنا بقربهم بعهد الصحابة ويعتبرون من التابعين، والرسول ﷺ يذكر أنّ خير القرون قرني ثم الذي يليه ثم الذي يليه، فلم يذكروا الموت والحساب ويوم القيامة سوى أربع مرات والتوكل

والأمان أربع مرات. أمّا أسماء الله جلّ وعلا وصفاته تسع مرات والدنيا ومرادفاتها تسع عشرة مرة، فكانت الدنيا أكبر همهم يتقاتلون من أجلها في الجمع من كنوزها والتمتع بنعيمها والانفراد بملذاتها، فكأنما الخلد والبقاء صفة لهم وكأنهم لم يقرأوا كتاب الله ﷻ وآياته من قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴾(٧٧). فإنّ الموت لم يتذكروه سوى مرتين، والحساب والقيامة مرة واحدة فقط، فهذا يعني ابتعادهم عن الخالق الدائم الباقي وقربهم من المخلوق الزائل المنقطع من متاع الحياة الدنيا، فإنهم يؤثرون الحياة الدنيا على الحياة الباقية الدائمة، فغرّتهم الدنيا واغترّوا بها، وهذا حال الإنسان كلما ابتعد عن الحيّ القيوم رب السماوات والأرض اقترب من الأرض*.

الخاتمة:

١- إنّ سبب ظهور الأختام بصورة عامة هو التطورات الاقتصادية التي حدثت عبر حقب التاريخ القديم، والتي جعلت الحاجة إلى الضابط الاقتصادي ضرورية جدًّا لتنظيم ذلك الاقتصاد، فكان أول ختم منبسط في بداية العصر الحجري الحديث، ثم صنع الختم الأسطواني في بداية العصور التاريخية.

٢- إنّ أول ظهور للختم المنبسط في العراق القديم معروف لدينا حتى الآن يعود إلى حدود الألف السادس ق.م.، أي إلى عصر حسونة حيث عثر عليه في العديد من القرى الزراعية التي ترجع إلى ذلك العصر.

٣- إنّ أول ظهور للختم الأسطواني المعروف حتى الآن كان في مدينة الوركاء وفي عصر الوركاء بحدود سنة (٣٥٠٠) ق.م. أي في بداية العصور التاريخية.

٤- إنّ الكتابة على الأختام استمر ظهورها حتى نهاية العصور التاريخية القديمة وبلا انقطاع، وقد تعلل ذلك بأهمية الختم في تعيين الهوية الشخصية لصاحبها ثم بأهميتها الدينية أحيانًا عندما يستعمل تعويذة تحمي صاحبها، وكذلك بأهميته السياسية والإدارية عندما يكون ختمًا للملك أو أمير أو موظف رسمي، كذلك جعل الكتابة على الختم واجبة وضرورية لتعيين الغرض الصحيح من استعماله.

٥- إنّ الختم على الرسائل التي بعثها الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء أمر ضروري في صحة صدورها من قبل الرسول ﷺ وكتب عليه محمد رسول الله تظهر جليًّا على نهايتهما.

٦- إنّ الكلمات التي كتبت على الختم في عهد الخلفاء الراشدين كانت مفعمة بصفات الله ﷻ وقدرته وأسمائه الحسنى.

٧- إنّ الكتاب الذي لم يذيّل باسم صاحب الختم يكون باطلاً ومزوّرًا ولا يعتنى به من قِبَل المرسل إليه.

٨- أصبح هذا الختم في العهد الأموي في ديوان خاص به تابع لمكتب الخليفة مباشرة، منعًا للتزوير والتغيير بالكتب والمواثيق والعقود.

٩- أول من وضع ديوان الخاتم هو الخليفة معاوية بن أبي سفيان، وأنّ

نصوص أختامهم مكثرة من أعمال الدنيا.

١٠- إنّ ديوان الخاتم بقي قائمًا مع إحداث ديوان التوقيع لمدة من الزمن ثم حلّ الثاني محل الأول.

الهوامش:

❖ معهد إعداد المعلمين، الموصل، نينوى، العراق.

(١) **الأختام الأسطوانية في سوريا بين ٣٣٠٠ و ٣٣٠ ق.م.** دليل من إعداد هارتمن كيونه، بالتعاون مع كلود شيفر وجهرئي بروتيس وأندريا مورتيس، تعريب أ.د. علي أبوعساف وقاسم طوير، ص١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص١٦.

(٣) عجينة الفرت: وهي عجينة صناعية تتكون من مادة كلسية وقد تمزج معها أحيانًا مواد أخرى، وغالبًا ما تزجج القطع المصنوعة منها فتبدو وكأنها مصنوعة من عجينة زجاجية. ينظر: ريا محسن عبدالرزاق، **الكتابة على الأختام الأسطوانية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٨٧م، ص١١.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ريا محسن عبدالرزاق، المصدر السابق، ص٢٧. ينظر: ليو أويتهاهم، **بلاد ما بين النهرين**، ترجمة سعدي فيضي عبدالرزاق، منشورات وزراة الثقافة والإعلام، بغداد، ص١٠٤.

(٦) رشيد، د. صبحي أنور، **تاريخ الفن في العراق القديم**، ج١/٧.

(٧) H. Frankfort, **Cylinder Seals**, p. 1-3.

ينظر: رشيد، د. صبحي أنور، **تاريخ الفن في العراق القديم**، ج١/٩-١٠.

(٨) Jawad A.J. 1965, p. 17-28.

ينظر: رشيد، د. صبحي أنور، **تاريخ الفن في العراق القديم**، ص٧-٨، ريا محسن

عبدالرزاق، المصدر السابق، ص١٠.

(٩) باقر، طه، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، بغداد، ١٩٥٥م، ج٢/٤٧.

(١٠) الدباغ، تقي، **الثورة الزراعية والقرى الأولى في حضارة العراق القديم**، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٥م، ج١، ١٤٠-١٤٣.

(١١) الشيخ عبدالله عادل، **بدء الزراعة وأولى القرى في العراق**، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، ١٩٨٥م، ص١٧١.

(١٢) ريا محسن عبدالرزاق، المصدر السابق، ص١٠-١١. ينظر: د. عادل ناجي، **حضارة العراق، الأختام الأسطوانية حتى فجر السلالات**، ج٤/٢١٩.

(١٣) Frankfort, H. 1939, p.2.

ينظر: **الأختام الأسطوانية في سوريا، ما بين ٣٣٠٠-٣٣٠٠ق.م.** هارتمون كيونه بالتعاون مع كلود شيفر وجهرئي بروتيس وأندريا مورتيس، تعريب أ.د. علي أبو عساف وقاسم طوير، ص٢٣، ٢٤، ٢٥، ٣٦.

ريا محسن عبدالرزاق، المصدر السابق، ص١٢.

د. عادل ناجي، **الأختام الأسطوانية حتى عصر فجر السلالات**، ص٢٢١-٢٢٢.

(١٤) Frankfort, H. 1939, p. 8-41.

ينظر: ريا محسن عبدالرزاق، المصدر السابق، ص٦٥.

(١٥) Woolley, L. 1982, p. 84.

(١٦) ريا محسن عبدالرزاق، المصدر السابق، ص٦٦.

ينظر: **الأختام الأسطوانية في سوريا ما بين ٣٣٠٠-٣٣٠٠ق.م** دليل هارتمون كيونه، تعريب أ.د. علي أبو عساف، ص٣٥.

رشيد، د. صبحي أنور، **تاريخ الفن في العراق القديم**، ص٨- ٩.

(١٧) النقشبندي، أسامة ناصر، **الأختام الإسلامية في العراق**، ص١١.

ينظر: Lloyd, S. 1978, p. 70.

ينظر: د. عادي ناجي، **الأختام الأسطوانية حتى عصر فجر السلالات**، ٤/٢١٩-٢٢٠.

(١٨) الدباغ، **الثورة الزراعية والقرى الأولى في حضارة العراق**، ص١٢٠-١٤٣.
ينظر: ريا محسن عبدالرزاق، المصدر السابق، ص١٢.

(١٩) كسار، أكرم محمد عبد، **عصر خلف في العراق**، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، ١٩٨٢م، ص١٢.

(٢٠) ناجي، عادل، **الأختام الأسطوانية في حضارة العراق**، ج٤/٢٢٠.

(٢١) بصمجي، فرج، **كنوز المتحف العراقي**، بغداد، ١٩٧٢م، ص١٥٦.

(٢٢) الهاشمي، رضا جواد، **المدخل لآثار الخليج العربي**، بغداد، ١٩٨، ص١٥٤-١٧٤.

(٢٣) باقر، طه، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، بغداد، ١٩٥٥م، ج٨/٤٨-٥٥.

(٢٤) رشيد، د. صبحي أنور، **الفن في العراق القديم**، بيروت، ج١/٢٧.

(٢٥) ساكز، **عظمة بابل**، ترجمة سلمان، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٧٩م، ص٤٨-٥٥.

(٢٦) كيرا، إدوارد، **كتبوا على الطين**، ترجمة محمود الأمين، بغداد، ١٩٨٦م، ص٤٥.

(٢٧) ريا محسن عبدالرزاق، المصدر السابق، ص١٨. ينظر: رشدي، د. صبحي أنور، **تاريخ الفن في العراق القديم**، ج١/١١-١٢.

(٢٨) Warad, E. 1910, p. 9.
ينظر: ريا محسن عبدالرزاق، **الكتابة على الأختام الأسطوانية**، ص١٨.

(٢٩) Frankfort, H. 1939, p. 3-48.
ينظر: ليو أوينهاهم، **بلاد ما بين النهرين**، ترجمة سعدي فيضي عبدالرزاق، دار الثقافة الرشيد، بغدا، ص٣٦٥.

(٣٠) Nissen, H. 1978, p. 16.
ينظر: رشيد، د. صبحي أنور، **تاريخ الفن في العراق القديم**، ص١٤؛ د. عادل ناجي، حضارة العراق، ج٤/٢٢٣.

(٣١) ريا محسن عبدالرزاق، **الكتابة على الأختام الأسطوانية**، ص٢٠-٢١. ينظر: رشيد، د. صبحي أنور، **تاريخ الفن في العراق القديم**، ج١/١٢-١٣. د. عادل ناجي، **حضارة العراق**، ج٤/٢٢٢.

(٣٢) المصدر نفسه، انظر: النقشبندي، أسامة ناصر، **الأختام الإسلامية في المتحف العراقي**، ص١٠-١١.

(٣٣) بصمجي، فرج، **كنوز المتحف العراقي**، ص٤٧٦.

(٣٤) ريا محسن عبدالرزاق، المصدر السابق، ص٢٢. ينظر: ليو أوينهاهم: **بلاد ما بين النهرين**، ترجمة سعدي فيض عبدالرزاق، دار الرشيد، ص١٠٤.

(٣٥) كونتينو، جورج، **الحياة اليومية في بلاد بابل وأشور**، ترجمة: سليم طه التكريتي، وبرهان التكريتي، بغداد، ١٩٧٩م، ص١٢٩. ينظر: كيرا إدوارد، **كتبوا على الطين**، ٢١١-٢١٢.

(٣٦) ريا محسن عبدالرزاق، المصدر السابق، ص٢٣-٢٤. ينظر: أوينهاهم، **بلاد ما بين النهرين**، حضارة العراق، ج٤/٣٦٦.

(٣٧) Steinkellev, P. 1978, p. 44-45.

(٣٨) Porada, E. 1962, p. 64.

(٣٩) إسماعيل، بهيجة خليل، **الكتابة في حضارة العراق**، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٥م، ج١/٢٤١. ينظر: **الأختام الأسطوانية في سوريا ما بين ٣٣٠٠-٣٣٠ق.م.** ص٢٠-٢١.

(٤٠) يسنّ التختم بالفضة للرجال إذا كانت الحاجة ماسة لذلك كالقاضي والحاكم الذي يجعل خاتمه منقوشًا فيه اسم (ختم) ويلبس خاتمه في خنصر يده اليسرى، ويجوز أن يلبسه في يده اليمنى. الجزيري، عبدالرحمن، **الفقه على المذاهب الأربعة**، ج٢/٢٠. ينظر: النقشبندي، **الأختام الإسلامية**، ص١١.

(٤١) هيكل، محمد حسين، **حياة محمد**، ص٣٨٣.

(٤٢) ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد، **مختصر التاريخ**، ص٧٢.

(٤٣) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، المجلد الأول، ص٢٥٨.

(٤٤) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، القسم الثالث، ص١١٧٨.

(٤٥) السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص١٠٧.

(٤٦) ابن الكازروني، **مختصر التاريخ**، ص٧٠. ينظر: السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص١٣٦.

(٤٧) ابن الكازروني، **مختصر التاريخ**، ص٧٢.

(٤٨) المصدر نفسه، ص٦٧.

(٤٩) همايون، خليل أدهم موزة، **فورشون مهر قتالوغي**، اسطنبول، ص١٣٢١. ينظر: النقشبندي، **الأختام الإسلامية**، ص١٤.

(٥٠) عبدالرحمن فهمي، دراسة لبعض التحف الإسلامية، **حوليات كلية الآداب**، جامعة القاهرة، ١٩٦٠م، مجلد ٢٢/١٧١-١٧٩.

(٥١) النقشبندي، **الأختام الإسلامية**، ص١٤-١٥.

(٥٢) المصدر نفسه، ص١٥.

(٥٣) د. حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي**، ج١/٤٥٨-٤٥٩.

(٥٤) الكروي، د. إبراهيم سلمان ود. عبدالتواب شرف الدين، **المرجع في الحضارة العربية الإسلامية**، دار السلاسل، الكويت، ص٨٤-٨٥. ينظر: أحمد إسماعيل علي، **تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي**، ص٣٥٥. د. فاروق عمر ود. مليحة رحمة ود. مفيد محمد نوري، **النظم الإسلامية**، بغداد، ١٩٨٧م، ص٨٠. **حضارة العراق**، نخبة من الباحثين العراقيين، ج٦/١٤٤-١٤٥.

(٥٥) النقشبندي، **الأختام الإسلامية**، ص١٦.

(٥٦) هيكل، **حياة محمد**، ص٣٨٣.

(٥٧) ابن الكازروني، **مختصر التاريخ**، ص٧٢.

(٥٨) السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص٧٢-١٨٠.

(٥٩) المصدر نفسه، ص٢٠٠.

(٦٠) النقشبندي، **الأختام الإسلامية**، ص١٦.

(٦١) المصدر نفسه، ص١٣.

(٦٢) الصاحب بن عباد، **عنوان المعارف وذكر الخلائف**، ص٢٤٣.

(٦٣) ابن الكازروني، **مختصر التاريخ**، ص٨٤.

(٦٤) المصدر نفسه، ص٨٥.

(٦٥) الصاحب بن عباد، **عنوان المعارف**، ص٤٤.

(٦٦) ابن الكازروني، **مختصر التاريخ**، ص٩٠.

(٦٧) دراسة الأختام، نشرت في **مجلة المقتطف**، ١٩٠٣م، لحكمة شريف، ص١٣٨.

(٦٨) المصدر نفسه.

(٦٩) الصاحب بن عباد، **عنوان المعارف**، ص٤٦.

(٧٠) المصدر نفسه.

(٧١) المصدر نفسه، ص٤٧.

(٧٢) ابن الكازروني، **مختصر التاريخ**، ص١٠٢.

(٧٣) المصدر نفسه، ص١٠٣.

(٧٤) المصدر نفسه، ص١٠٤.

(٧٥) السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص٢٤٥. ينظر: ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص١٠٩.

(٧٦) أنّث كلمة (الخاتم) لأنه ضمّنها معنى الشامة أو العلامة. الطبري، **تاريخ**، ج١٨٤/٣.

(٧٧) سورة الجمعة، الآية ٨.

* **العربي**: تنشر **العربي** هذا البحث عملاً بحرية النشر، وإلا فإنّ النتيجة التي توصّل إليها الباحث من خلال مفردات الأختام، فيما يتعلق بخلفاء بني أمية، فيها الكثير من التعسف، وليّ عنق الكلام لإدانة الخلفاء الأمويين. والحال إنّ أولئك الخلفاء وإن بدرت عنهم بعض الأخطاء فلا يجب أن تسقط على مثل هذه المفردات أو تستنتج منها. والحقيقة أنّ معظم هذه الأختام في تراكيبها ذات طابع زهدي في الحياة وليست مشجعة على الأطماع في الحياة الدنيا أو مستكثرة منها.

أ. م. ض.

بقية شِعر عبد الرحيم العباسي (ت ٩٦٣ هـ)

بقلم: د. عبد الرازق حويزي*

يعدّ عبد الرحيم العباسي من أبرز علماء الثقافة العربية في القرنين التاسع والعاشر الهجريين، بما أتحف به مكتبة التراث العربي من مؤلفات في اللغة العربية، والثقافة الإسلامية، والتاريخ العربي، ولا يخفى عن كثير من الدارسين كتابه الشهير الموسوم بـ"**معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**".

وقد حصرت مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة، وترجمت له ترجمة موسعة في مقدمة تحقيقي لرسالتيه: "**أنفع الوسائل إلى أبدع الرسائل**"، و"**أنس الأرواح بعرس الأفراح**"، ومقدمة ديوانه الذي نهضت بجمعه وتحقيقه ونشره، لذا لن أتطرق هنا إلى ترجمته أو إلى مؤلفاته، وحسبي أن أشير إلى رسالة كتبها في فتح رودس، عنوانها: "**منح رب البرية في فتح رودس الأبية**"، ولم أطلع على هذه الرسالة قبل كتابة هذه السطور، لذا فهي تضاف إلى قائمة مؤلفاته، وعندما عثرت على هذه الرسالة بادرت إلى تصفحها فوجدت فيها بعض الأشعار الجديدة التي لم يتضمنها ديوانه، كما وجدت في كتاب **المطالع البدرية في المنازل الرومية** أشعارًا أخرى لم

ترد في الديوان، فرأيت إتمامًا لصنعة ديوانه نشر هذه الحصيلة الطيبة من شِعره.

إنّ الشِّعر الوارد هنا من شأنه أن يضيف بعض الحقائق إلى ما تم استنتاجه من قبل، منها -على سبيل المثال- وجود مكاتبات شعرية بينه وبين بعض معاصريه، وكثرة ألغازه وأحاجيه الشعرية، وتمتعه بطول النفس الشعري، ولا أجانب الحقيقة إذا قلت: إنّ بعض الشِّعر هنا وخصوصًا القصائد الطويلة تضع أمامنا جانبًا من الموهبة الشعرية لعبد الرحيم العباسي لتظهر وكأنها لا تقل عن موهبة بعض شعراء العصر العباسي، وهذا مما يدعو إلى الاهتمام بشِعره.

إنّ كتاب "**المطالع البدرية**" الذي ألّفه معاصره بدر الدين الغزي ضمّ شِعرًا ليس بالقليل لعبد الرحيم العباسي، ولم يقتصر الأمر على هذا، بل ضمّ أيضًا بعض نماذج من نثره، وربما كان هذا لمكانة الرجل الأدبية، فقد احتفى به بدر الدين الغزي من هذا الكتاب حفاوة كبيرة، ويكاد معظم هذا الكتاب يكون مخصصًا لعبد الرحيم العباسي.

وقد جمعت شِعر العباسي الوارد في هذا الكتاب وغيره مما لم يرد في الديوان، ورتبته حسب قوافيه على حروف المعجم، ورأيت بعض الأبيات الواردة في هذا الكتاب مضطربة، وغير مستقيمة وزنًا ومعنى، فتدخلت فيها لإقامتها، وأشرت إلى ذلك في الهوامش، ووضعت ما تدخلت فيه بين أقواس، خلا ما أعدت كتابته مدورًا حسب أنساق

العروض الخليلي، ولم ترد كذلك في هذا الكتاب، وخلا إعادة رسم الكلمات، وضبطها، والنظر إلى ما ورد في متن هذا الكتاب مما ورد هنا يوقفنا على مثل هذه الأشياء اليسيرة، وقد شرحت بعض الألفاظ التي ربما يصعب معناها على بعض القراء معتمدًا على معاجم اللغة وغيرها.

وقد رويت في كتاب "**المطالع البدرية**" هذا أشعار لعبد الرحيم العباسي هي واردة في ديوانه، ومن ثم فهي تستدرك على التخريج، وبها روايات أخرى لبعض الألفاظ.

والمقطّعات الواردة في الديوان ورأيتها واردة في كتاب "**المطالع البدرية**" تقع في الديوان تحت الأرقام: "٥٥، ٨٠، ٥٧، ٦١، ٥٤، ٥، ٢٠، ٥٧، له في **المطالع البدرية** في الصفحات: ١٤٣، ١٤٤، ١٤٤، (١٤٤ وهي في ص ٢٠٨ أيضًا)، ٢٠٦، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨ على التوالي، وفيها بعض الروايات الأخرى.

أمّا بقية شِعر عبد الرحيم العباسي، والتي تجمّعت لديّ مؤخرًا فهي:

كتب عبد الرحيم العباسي إلى بدر الدين الغزي لغزًا في الأبيات[1]:

[من الكامل]

١- يا من غَدا وكواكبُ الجوزاءِ تعنُو لرتبته لَدى العلياءِ

٢- ما اسم تَرَاهُ مثلثًا ومسدسًا وبه تبين غوامض الأشياءِ

٣- حَرِّفْ وصَحِّفْ آخرًا منه يكن فعلاً لمن يأتيك بَعْدَ مَساءِ

٤- ومتى تحرِّفُ فاءَه مع عينِهِ كانَتْ مواقِعهُ كما الحلواءِ

٥- ويكون ظرفًا إنْ تصحِّفْ فاءَه ... ويجوز منك جَلائل النَّعْماءِ

٦- ومتى تُحرِّفها تجدْهُ مُسَارِعًا ... فيما تُحب على أتمِّ وَفاءِ

٧- وبقلبه تلقاهُ سَبَّاقًا إلى ... شيءٍ تعيِّنهُ بدون عناءِ

٨- وإذا حذْفتَ اللام من مقلوبه ... تلقاهُ فعل الخائف المتنائي

٩- واقلبه يبقى فعل شيء تلقه ... يدنو ويبعدُ من حذارِ لقاءِ

١٠- واسمٌ لشيء فيه رفقٌ بيِّنٌ ... يُزْهيك منه حذاقة الإيواء

١١- وانظرْ إليه وحَلِّهِ بجَواهِرٍ ... من لفظك المخصُوص باللآلاءِ

١٢- واسلم ودم في دولةٍ وسعادةٍ ... ما عُوقِبَ الإصباحُ بالإمساءِ

وقال في وصف "ككوا"[٢]: [من مجزوء الرمل]

١- كم عقاب في عقابٍ ... دونها مَرَّ السّحابِ

٢- ليس للطير رُقيا ... فوقها حتى العُقَابِ

٣- حال من يرقى إليها ... كرقيٍّ في اضطرابِ

٤- كادَ أن يكن من يرقى ... إليها لمسَ الشهابِ

٥- حارت الأفكارُ فيها ... بين هاتيك الشعابِ

٦- وانثنى العقلُ ضليلاً ... بأسى تلك الهضابِ

٧- وربا الكربُ ازديادًا ... مُذْ بدتْ تلك الروابي

٨- ودموعُ العين تجري ... بجفانٍ كالجوابِ

٩- يسدر المرء فلا يقـ ... ـوى على ردّ الجوابِ

١٠- وإذا يهـــوي انحـــدارًا صـــار في أقـــصى الـــترابِ
١١- كـم سـقيطٍ صـار منهـا في أفـــــانين العـــــذابِ
١٢- مـن يقـمْ منهـا صـحيحًا كـــان في أفْـــقِ التحـــابي
١٣- فعُـــدُول المـــرءِ عنهـــا أبـــدًا عـــينُ الـــصوابِ

وقال يجيب عن لغز بدر الدين الغزي[٣]: [من الكامل]

١- يا من غدا والعلم مورد شربه يـصفو كمـا تـصفو مَـواردُ حُبِّـه
٢- ألغزت في لغز بديع لم يدع فـضلاً لـدى فهـم اللبيـب ولُبِّـه
٣- ومنعته نطقًا فأصبح صَامِتًا وعتا على فكر الأريب بحجبه
٤- وغدا يلوح ويختفي والغش من أفعالـــه مـــتمكن في قلبـــه
٥- حاولت جهبذ فكرتي في رده غَـزلاً وفسخ معاقد مـن عجبه
٦- فبـدا لـه غُـزٌّ يحـاول منعـهُ عَمَّـا أراد ولا تـــني في حربـــه
٧- وأراه عـزًا شـامخًا مـن معـشر عـز الطلائـع أصبَحوا مـن حزبه
٨- لـو أدركتـه مـن كُثِّـر عَـزَّة فكَـر لأبعـد عـن مَواقـع قربـه
٩- ولو استجاش لنصره وعلا لما أغنـت ودام علـى الإبـاء بـشعبه
١٠- لله غـزة ربـع ناظمـه لقـد أبـدت لنـا بـدرًا زهـى في شـهبه
١١- وبه دمشق تشرفت أرجاؤها لمـا أنـاخَ بهـا مطايَـا ركبـه
١٢- وغدت به تبعًا لمصر تجول في حلل الفخار بما ارتوت من عذبه
١٣- نشر العلوم بها فأصبح ما انطوى منهـا جليًـا وادعًـا في سـربه

١٤- فعساه يلفى كالرَّضِيّ أبيه بالشـ ـعر الـذي وافـى بذمـه عُرْبـه
١٥- لا زال في سعد وعزٍّ ما زَهَا بَـدرُ الـدجَى في شـرقِهِ أو غربـه

وقال أحجية[٤]: [من المجتث]

١- يـا سـيدًا قـد تـسامى عـن كـلِ شـين ومقـتِ
٢- مـا (بـسورة) منتهاهـا مـرادف غِـبَّ وقـتِ

وقال[٥]: [من مجزوء الكامل]

١- يـا منكـرًا فعـلَ الجميـلِ إذ مِـتّ بـأعظم خزيـةِ
٢- لِـمَ لا تكـون مـذمًا وفعلـت فعلتَـك التِـي

وقال[٦]: [من مجزوء الرجز]

١- في الـدَّهر قـومٌ مُلئـتْ نفوسُـهمْ مـن خبـثِ
٢- أجـدُّ في فـراقِ مـا قـد ألِفـوا مـن رفـثِ
٣- أغـسلُ رجلـيّ(فقـد) نويـتُ رفـعَ الحـدثِ

وقال[٧]: [من الطويل]

وهبَّ نسيمُ الـرُّوح منبعثًا بما به الروح تحيى بعد موتٍ وتبعثُ
وعاد إلى الأجسامِ رونقُ جسمِها وكادت من قبل تفنى وتُجدث
فأقسم لو قال المبالغ إنما تنفست النيران ما كان يحنثُ

وكتب لبعض الأكابر وقد التمس منه حاجة ففوّض قضاءها لرجل اسمه صالح قوله[٨]: [من السريع]

١- يـا مظْهـرَ الآمـل والمرتجـي ومَفْخَـــر الحامِـــد والمـــادحِ
٢- خالص ودي لم يكن فَاسِدًا فـــلا تَكِـــلْ أمـــري إلى صـــالحِ

وقال في وداع "بدر الدين الغزي"[٩]: [من مخلع البسيط]

١- أســـتودع الله منـــك مجـــدًا أصـــبَح بـــين الأنـــام فـــردا
٢- أســـتودع الله منـــك ذاتًـــا بكـــل مـــا في الوجـــود تفـــدى
٣- أســـتودع الله منـــك جـــودًا بجـــوده المعـــصرات أعـــدى
٤- أســـتودع الله منـــك ركنًـــا أضـــحى لمـــن يرتجيـــه رفـــدا
٥- أســـتودع الله منـــك طبعًـــا صـــفا لمـــن ينتحيـــه وردَا
٦- أســـتودع الله منـــك بـــشرًا لـــنجح راجيـــه قـــد تـــصدَّى
٧- أســـتودع الله منـــك ذاتًـــا أدلّ مـــن شـــارقٍ وأهـــدى
٨- يـا سـائرًا والقلـوب تـسري بـــــسيرٍ لا يطيـــــق بُعْـــــدا
٩- والـــصبر لم يبـــق منـــه إلاّ مـــــا لم يطـــــق للـــــهيام ردا
١٠- لـولا رجـاء اللقـاء كَـادَت تُهـــدُّ منَّـــا القلـــوب هَـــدّا
١١- فهـو لهـا كالغـذاء يُحيـي نفوســـــنا بـــــالمُنَى ممـــــدا
١٢- فـــسر قربنـــا لكـــل خـــير مـــصاحبًا دولـــة وســـعدَا
١٣- وصـــحة لا تـــزال تكـــسو ذاتـــك ممـــا تحـــوك بُـــردا
١٤- لا تـشتكي في النهـار حـرًّا ولا بجـــنح الظـــلام بَـــرْدا
١٥- لمـوطن الـسعد في أمـانٍ تـــزداد عـــزًا بـــه ومجـــدا

١٦- والوقت في غاية اعتدال وطالع السعد قد تبدى
١٧- أعظمْ بها سفرة وسيرًا أكرم بها وجهةً وقصدا
١٨- صحبت برًّا وأنت بحر والجود والبر منك مُدَّا
١٩- فيا له من قران سعد حاسده بالردى تردا
٢٠- لا عدمت مجدك المعالي ولا رأت من علاك فقدا
٢١- وسرت في دولة وأمن ما حمد الحَامِدون حمدا

وكتب إلى والد بدر الدين الغزي[١٠]: [من الخفيف]

١- يا فؤادي وأين مني فؤادي؟ لستُ أدريه ضلَّ في أيِّ وادِي؟
٢- شُعَبُ الحبِّ قد تشعّبَ قلبي في ذراها وغابَ عنه الهادِي
٣- يا خليليَّ إن تَمُرَّ بلَعْل فانشداهُ ما بين تلك الوِهادَ
٤- وهو في قبضةِ الغرامِ أسيرٌ دون فادٍ أو هالك دون وادِ
٥- ليس غيرُ الصَّدَى يردُّ جوابًا لي عنه في حالةِ الإنشادِ
٦- كلما قلتُ: أينَ ضَلَّ فؤادي؟ رَدَّ لي منه أينَ ضَلَّ فؤادي؟
٧- كم ليالٍ سهرتُها وسميري في دُجاها زُهْرُ النُّجومِ البوادِي
٨- (أدرَعُ) الأفقَ بين شرقٍ وغربٍ بجفونٍ تعاف طيبَ الرَّقَادِ
٩- أحسنتُ صَنْعةَ البديعِ فوافتْ بِجِناسٍ بين السّها والسُّهادِ
١٠- وكذاك الطِّباق لاح فصبري في انتقاصٍ ومَدمعِي في ازدِيادِ...
٢٣- وتلافٍ لَمَّا بدا من تلافٍ بصلاحٍ يُزيلُ عَيْثَ الفَسادِ

٢٤- ليتَ أيامنا المواضي تقدَّى بالبواقِي من جالباتِ البعَادِ
٢٥- فله في الحَشَا اضطرامُ لهيبٍ ليس يُطْفى بغير نيل المرادِ
٢٦- حقّق الله في التلاقي رجاءً هو للنفس أشرفُ الأزوادِ
٢٧- وأزاحَ الأعذارَ عنه وحيَّا وأراح الفؤادَ ممّا يعادِي

وقال[١١]: [من الوافر]

١- أحبُّ من البريّةِ كلَّ سَمْحٍ قريب المستقى سَهْلَ القيادِ
٢- إذا ناداه مُفْتقِرٌ لبرٍّ أجابَ نداهُ قبل صَدَى المنادِي

وكتب لوالد بدر الدين الغزي[١٢]: [من المتقارب]

١- مُحبّك فيك كما تعهدُ من الودِّ والشوقِ بل أزيدُ
٢- يرى كلّما بعدت دارُه صباباته عنه لا تبعدُ
٣- ومهما تقادَم عهدُ اللقاء جديدًا تلهفُهُ يوجدُ
٤- فأنَّى وكيف ومن أين للـ ـدنوِّ سَبيلُ إذا يُقْصَدُ
٥- وكم بيننا جبلٌ شاهقٌ تخلّلَ ساحَته فَدْفَدُ
٦- وسد من المنع (أسواره) تسوّرها قطّ لا يحددُ
٧- ولكن إذا جاء عونُ الإله تسهّلَ ما كان يستمردُ
٨- فيا واحدًا في العُلَى والنهى وهل فيهما غيرك الأوحدُ
٩- رضي القلبِ منك (مناي) الذي له طولُ دهري استرفدُ
١٠- فكُنْ كاسمك المجتبى إنه لطِبْق مُسَمّاك إذ يوردُ

١١- ولا تخلني من دعاءٍ بهِ رجائي قويٌّ لما أقصدُ
١٢- فلي مددٌ منه أحيا به وبعد الممات إذا أُلحَدُ
١٣- بقيتَ من الله في نعمةٍ تفوق يدَ الحصر إذ تُعْدَدُ
١٤- ونجلُك بحرُ العلوم الذي يزيدُ على البحرِ إذ يزبدُ
١٥- ولا زلتما نيرّي دَهْرِنَا عَظيميه ما وُجِدَ الفرقدُ

وقال مرحِّبًا بـ"بدر الدين الغزي"[١٣]: [من الرجز]

١- قدِمتَ خيرَ مَقْدَمٍ تحمدُهُ ويُمْنِ طالعٍ كذا تشهدُهُ
٢- يا خير من خُلف عن خير خَلف ما زلتَ تحيى ما حيا سحب (ذرف)
٣- قرّت ببقياك عيون البَشَرِ كما لها درّت عيونُ البِشْرِ
٤- زَيَّنك الإلهُ ذو الجلالِ بحلْيَةِ الجَمالِ والكمالِ
٥- ليس يُرى لمجدك انصرامُ ما كرت الشهورُ والأعوامُ

وقال[١٤]: [من الطويل]

١- إذا ما تصدّى ظالمٌ للأذى فكن على ما تبدَّى منه أجرًا (لصابر)
٢- ودعه وما يلقاه من شؤم بغيه وكِلهُ إلى فِعل الجدود العواثر

وقال[١٥]: [من الكامل]

١- يا مشتري العبد الرقيق بماله هلا اشتريت الحرّ إذ هو أجدرُ
٢- العبد ليس بشاكر لك نعمة والحرّ يحمد ما فعلت ويشكرُ

وقال[١٦]: [من الطويل]

١ – كأن لم تكن للكفر دارًا ولم يقم بها قائم نعماء مولاه يكفرُ

٢ – وصار بها الإسلام في أرفع الذرى تتيه بمجد من علاه وتفخرُ

٣ – وأعلن بالتوحيد من كان ساكنًا وخافت بالإشراك من كان يجهرُ

٤ – وقام منارُ الدين بعد قعوده وظل به يزهو سريرُ ومنبرُ

٥ – وتاهت على كل البلاد بدولة لها السعد عبدٌ طوع مايتي تأمر (كذا)

٦ – وأضحت وأعناق الممالك خُضعًا لديها وجبهات الملوك تعفرُ

٧ – بسعد سليمان الزمان ومن له إله البرايا ناصرٌ ومظفرُ

٨ – مليك حباه الله ملكًا مؤيدًا يجدُّ على مر الليالي ويذكرُ

٩ – مليك له عزم إذا ما (انتضاه) لا يقاربه ماض صقيل وأبترُ

١٠ – مليك به الإسلام أصبح ساميًا يعز بإرغام العدا ويؤزرُ

١١ – مليك إذا ما هم أيسر همة لقصدٍ تسنى مسرعًا لا يقصرُ

١٢ – مليك أباد الكفرَ رعبًا فلم يدع لهم أنفسًا إلاّ بذكراه تذعرُ

١٣ – مليك يرى أن ليس في الأرض مشتهى سوى منع دين الله مما يغيرُ

١٤ – مليك له فوق السماكين رتبة جميع المعالي دونها تتقهقرُ

١٥ – مليك بدا في الكون للناس رحمة به كل مكسور من الدهر يجبرُ

١٦ – مليك يحار الفهم في كنه وصفه ويعجز عنه الفكر حين يفكرُ

١٧ – إذا قال فيه الشِّعر أشعر شاعر ولو أنه الشعرى لما كان يشعرُ

١٨ – ولكنه بالحلم يُغضي عن الذي يقَصِّر بعد الجهد فضلاً ويعذرُ

١٩- فلا زال في سعدٍ يدوم دولة مخلدة ما قال (بُشرى) مبشّرُ

وكتب إلى بدر الدين الغزي لُغْزًا[١٧]: [من مجزوء الرجز]

١- يا واحد العصر الذي أوصافه لا تحصرُ
٢- ما اسم ثلاثي غدا معروفه لا يُنكرُ
٣- ليس بحسن جسمه وبالعيون يُبصرُ
٤- يمضي ولا رجل له مضاء طرف يحضرُ
٥- ويختفي في جوفه المحبوب والمستنكرُ
٦- قد خف لكن قلبه ليس عليه يقدرُ
٧- متى تصحف فاءَه به كثيرًا يُسْبرُ
٨- وإن حذفتها يكن له شؤون تزبرُ
٩- وإن تصحف عينه فاسم لشيءٍ يكبرُ
١٠- وتارة يكون فعلاً حاله مقدرُ
١١- وتارة حرفًا لما يحيد عَنه المخبرُ
١٢- وإن قلبته يكن خير متاع يخبرُ
١٣- وإن تصحف فاءَه واللام لا تعتبرُ
١٤- يختصُ بالفعل وعن فحواه لا يقصرُ
١٥- وإن تحرف فاءه ولامه تُختصرُ
١٦- يختصُّ بي معروفه ولى حياة يقصرُ

١٧- وإن تـصحف لامُـه وعينُـــــه لا تـــــذكرُ

١٨- فهـو مبـاح لـك يـا مَـــن للقلـــوبِ يجـــبرُ

١٩- فحلـــــه محلـــــه فهـــو الفريـــد الجـــوهَرُ

٢٠- واسلم ودم في نعمة لـــــيس لهـــا تغـــيرُ

٢١- دوريـــة آخرهـــا أولهـــــا لا يفـــــترُ

٢٢- مـا لاح ليـل ومحـا دجـــاه صـــبح مـــسفرُ

وقال يجيب عن لغز بدر الدين الغزي[١٨]: [من مجزوء الرجز]

١- يا مَن غَدا مثلَ اسمِه لَمَّـــا دجـــى ينـــورُ

٢- ألغزتَ في شيءٍ غدتْ نعمـــــاؤه لا تُحـــصرُ

٣- مرخمًـــا حرِّفْـــه تلـــ ـــــقه نهـــى لا يقـــدرُ

٤- وإن تـــصحفْه يكـــن منـــــه بهـــاءً يزهـــرُ

٥- وإن أعـــدتَ لامَـــه حبـــاك روضٌ نـــضرُ

٦- واعكسه فهـو راهـبٌ ممـــا جنـــاه يحـــذرُ

٧- وإن حـــذفتَ ثالثًـــا منـــــه عـــــراه بهـــرُ

٨- واقلبه فهو الرّعبُ من قلـــب جبـــان ينفـــرُ

٩- فهـاك حـلّ اللُّغـزِ مِـن مُقـــــصِّر يعتـــــذرُ

١٠- واسلمْ ودمْ في نعمة مـــا لاح لـــيلاً قمـــرُ

وقال مجيبًا لبدر الدين الغزي في لغزه[١٩]: [من الخفيف]

١ – زادك الله بالدرايـــة عـــزًّا فلقـــد قمـــت للهدايـــة كنـــزا
٢ – يا بديع الألفاظ غُـرَّ المعـاني صـار منـك البيـان للـدهر طـرزا
٣ – من يُجَاريكَ في العُلوم يُجاري الـ ـــيم والمجـد مـن تجرّيـة يهـزا
٤ – إن لُغزًا أرسلتَه فَاقَ بدرّ التـ ـم حُـسْنَا وأورث الفكـرَ عَجْـزا
٥ – من يفتش فليس يلقى له ثَمـ ـــم نظـيرًا فقـد تفـرَّد رَمْـزا
٦ – ثـمَّ مـن يبتغـي مُـضاهاته لا تـسمع الأذنُ منـه في ذاك ركـزا
٧ – وتَـراه وقـد تحيّـرَ ممّـا نابـه للفـرارِ يَجْمِـزُ جَمْـزَا
٨ – من يطقْ يلمس السماَء ويأتي بالـدَّرارِي حتـى يُحَاكيـه لُغْـزا
٩ – قلت لما أجبت عنه : إذا ما إبـلٌ لم تكـن لـديَّ فمِعْـزى
١٠ – غير أني بالستر منه وثيق فإليـه كـل الفـضائل تُعْـزَى
١١ – دام في نعمـة وظـل سـعودٍ ما أمال النَّسيمُ غُـصنًـا وهْزا

وكتب إلى ملك الأمراء كافل المملكة الشَّاميّة الأمير أركماس، وقد لبس خلعة[٢٠]: [من البسيط]

١ – قد أمكنتْ فُرص الإقبال فانتهزِ وحَـل موعـدها بالـسَّعدِ فـانتجزِ
٢ – واركَبْ إليها براقَ العزم وامضِ لها كالبرقِ يـومضُ خفّافًا علـى نَشِزِ
٣ – واجذبْ عنانَ الأماني غيرَ محترسٍ وخـذ بفـودِ المعـالي غـيرَ مُحـترزِ
٤ – واهززْ بكفِ اقتدارٍ كل ذي ميسٍ واطعـنْ بـه كـلَّ قلـب غـير ذي ميـزِ
٥ – وأمدد يمينك للاجئ بمكرُمَةٍ وابسطْ يسارك للمسترْفِد العـوزِ

٦ – وسُسْ بحزمك ما في الناس من (مرج) ورُضْ بعزمكَ حدّ الجامحِ النَشِزِ
٧– وحاذرْ الخلقَ واصحبهم على دخلٍ ولا تدع حالةَ المستوفزِ الحَفِزِ
٨– واستعمل الحزم في كلّ الأُمور فمَنْ يضيّع الحزم لم يظفرْ ولم يَفُزِ
٩ – واهنأ بخلعةِ عِزٍّ بالوَفَا ورَدَتْ (وبالهنا) قد غَدَتْ مرقومةَ الطرزِ
١٠ – واخلَعْ بُلْبسك إياها قلوبَ عِدًا وجُوههم قبحت من شدّة الشَّمزِ
١١ – وأعذرْ بفضلكَ في تقليل عدّتها فالعذرُ أوضحُ من شمس على وَشَزِ
١٢ – ضاقت عليَّ قوافيها ألم ترني أتيت بعد نفيس الدُّر بالخَرَزِ
١٣ – لو كان لي بَسْطُ عيشٍ كان لي لسنٌ لذي البلاغة لم يحوج ولم يَعُزِ
١٤ – يا مَنْ بأخلاقه فاتَ الملوك عُلا كما تفاوت بين الصّدرِ والعجزِ
١٥ – ومن بنائله أحيا الوجودَ كما يحيي الحَيا حين يهمي ميّتُ الجُرزِ
١٦ – دُمْ وابق واسلمْ وجُزْ في دولةٍ وعُلا ما لم يحاوله مخلوقٌ ولم يَحُزِ
١٧ – واستجلها بنتُ فِكْرٍ في مروط سنا لغيرِ مجدكِ لم تُملَكْ ولم تُحزِ
١٨ –زائيةٌ لم تدعْ مرمى لذي غرضٍ ولو أتى ببسيطِ القولِ والرّجزِ
١٩ – كفيلةٌ للذي يأتي يعارِضُها أن لا يعود بغيرِ الهزؤ والطَّنزِ
٢٠ – واسمحْ لها بقبولٍ منك يجبرها ولو بلَحْظٍ من الإيماءِ والرمزِ

وقال مجيبًا الغزي[٢١]: [من الكامل]

١ – قسمًا بخير الخلق مولى الناس ويعَمِّه وصفيه العبّاسِ
٢ – ما مثل در قد نظمت عقوده متناسق الأنواع والأجناسِ

٣- وافى فأهدى للمسامع حسنة شـــنفًا (إذ) شـــرفًا بغـــير قيـــاسِ
٤- وبما تبـدّى مـن بـديع بيانـه قـــد صـــيَّر الأفكـــار في إبـــلاسِ
٥- لو صُـورت زُهرًا معاني لفظهِ كانـــت لكيـــوان كتـــاج الـــرأسِ
٦- أو قايست أنواره شمس الضحى أضـحت كمـا المـشكاة والنـبراسِ
٧- سبحان مبدع فكرة قد أبرزت مـا فيـه مـن غـرر وحُسْن جنـاسِ
٨- عالي الطباقِ فمتنه عن سَافِلٍ عـارٍ ومـن حُلَـلِ البلاغـة كاسـيِ
٩- تنـشى معانيـه بلطـف فنونهـا مـا لـيس ينـشئه سـلاف الكـأسِ
١٠- ويعيد روح الأُنس روح بديعه مـن بعـد مـا قـد غـاب في الأرمـاسِ
١١- ويرد روض البشر أخضر يانعًا زاهـي الروابـي بعـد طـول يبـاسِ
١٢- فترى به ورق الفصاحة صُـدَّحًا وكأنهـــا القينـــات في الأعـــراسِ
١٣- وإذا شذا قُمْرِيّ فضل بيانه مـــا معبـــد في روضـــة المقيـــاسِ
١٤- لله نـــاظم درة الغـــواص في لُجـــجِ العُلـــومِ بفكـــرِه الغطـــاسِ
١٥- فهو الذي فرع الشيوخ بعلمه والعمـــر غـــضٌّ في أجـــد لبـــاسِ
١٦- وله معارف ليس ينكرها سوى مـن يبتلـى في العقـل بالوسـواسِ
١٧- ومؤلفـات شـاهدات أنَّـهُ بـــالبحر غـــير مـــشبه ومُقَـــاسِ
١٨- عن فضله حدّث ولا حرج فما ينفيـــه إلاّ ذو الـــشنار الخاســـي
١٩- من ينكر الشمس المنيرة غير من هـــو للعمـــى في حالتيـــه يقاســـي
٢٠- لا غَرْوَ أن يعي مجاري فضله تعيـــى البغـــال بجريـــة الأفـــراسِ

٢١- إني لأرفع مجده عن نعته ... ببديع أوصاف مضت لأناسِ
٢٢- وأجله أن أستعير لذاته ... من حلم أحنف أو ذكاء إياسِ
٢٣- ورث المحامد كابرًا عن كابر ... وبنى علاه على أجلّ أساسِ
٢٤- لله دَرّ أبٍ له قد كان في ... أوج العلا الطود الأشم الراسي
٢٥- ما أن رأت عيناه مثل جَلاله ... وخلاله كلا وَرَب الناسِ
٢٦- حلم له رضوى يخف ومقْول ... يدع الجواهر وهي في أبخاسِ
٢٧- وطويل باع في العلوم مديدة ... ببسيط وافره الأنام يواسي
٢٨- وسماحة تدع ابن برمك مادرًا ... وترد حاتم في قلًى وتناسي
٢٩- وولاية قرّت عيون أولى الولا ... وبها عيُون أولى العناد خواسي
٣٠- ونصائحٌ تدع الغويَّ مرشدًا ... ويلين منها كُل قلب قاسي
٣١- وله كرامات تَعذَّرَ حَصْرُها ... كالقطر والأمواج والأنفاسِ
٣٢- من ذا يحاول عشر عشر نعوته ... لو يضرب الأخماس في الأسداسِ
٣٣- والله إني عن وفاءِ حقوقه ... في غاية الإقتار والإفلاسِ
٣٤- فله من المولى الكريم مواهبٌ ... تكسُوه بالرضَوان خير لباسِ
٣٥- ولأوحد العلماءِ وارث مجدِهِ ... رتب تُرى فوق السماك رواسي
٣٦- وقباب سعد لم تزل علياؤها ... مشدودة الأطناب والأمراسِ
٣٧- وبكل لمح يستجد سيادةً ... تدع الحسود بحالةِ الخناسِ
٣٨- عذرًا سليل المجد عن نظم امرءٍ ... قد رق من جور الزمان القاسي

٣٩- إن ابـن سـبعين لمعـذور إذا ما فكـره أضـحى كعُـودٍ عاسـي
٤٠- فكن الرَّضيّ بن الرَّضيّ بن الرَّضيِ ـي بمـا أتـى مـن فاقـد الإحـساسِ
٤١- وتلقَّ بالبشر الـذي عودتـه مـا قـد بـدا مـن مخلـص عباسـي
٤٢- ولئن تكن نزرًا ركيكًا سافِلاً فالـستر منـك لدائـه كـالآسِ
٤٣- جمحت قوافيه فلما راضَهَا بك أذعنت من بعد فرط شماسِ
٤٤- وغدت بفخر المدح فيك رفيعة ولهـا منـابرٌ في العُـلا وكراسـي
٤٥- وبَدَت تجرُّ على جَرير مرطها وأبـي فـراس مفخـرًا ونُـؤَاسِ
٤٦- وعلى حبيب قد تعذر وصلها وابـن الحسين أخي النَّدى والبأسِ
٤٧- لا زلت ترقى للمعالي دائمًا وفـضاؤها لعـلاك كالبرجـاسِ
٤٨- ولمجدك العالي الثناء من الورى يجري كما الأوقاف والأحباسِ
٤٩- ولعيشك الخضر المنعم حافظ مـن أن يـردّ رجـاؤه لليـاسِ
٥٠- ما (فوفت) أيدي اليراع بوشيها مبيـضةَ الأطـراس بالأنقـاسِ

وقال[٢٢]: [من السريع]

١- قل لبني الكفر مضت رودس فليخـزأوا بـالرغم وليخنـسُوا
٢- وليحزنوا حزن الثكول التي أصيب منها الأكرم الأنفُسُ
٣- كانت لهم حصنًا فلم يحرزوا بها من السوء ولم يُحرسُوا
٤- واتخذوها شركًا للأذى دهرًا فمن حل بها ييأسُ
٥- يصحبه الأدهم في رجله والغل في الجيد له الملبَسُ

٦- وعينه تبيض من حزنه من أسود العيش الذي يمسسُ
٧- يودُّ مذ يصفر من خوفه لو أحمر الموت له يرمُسُ
٨- عدوه الأزرق في لهوه بحاله الأغبر لا يحسسُ
٩- يدعونه بالكلب والكلب من قيمته عندهم أنفسُ
١٠- ويقسمون الغنم من ماله وهو من الخشية لا ينبسُ
١١- وكم وكم من محن تعتري أحواله وهو بها ملبسُ
١٢- حتى أتاح الله سبحانه لفحتها مَن سِرُّه الأقدسُ
١٣- فجال فيها جولة غودرت بها مغاني كفرهم تدرسُ
١٤- وأصبح الناقوس في أوجها وهو بتوحيد الورى أخرسُ
١٥- وزال منها حكم تثليثهم بواحد أوهى الذي أسسُوا
١٦- وعز من كان ذليلاً بها لما بها ذلَّ اللقا الأنفسُ
١٨- وأطدَّ الإسلام راياته لما غدت راياتهم تُنكسُ
١٩- وانتسخت آيات إنجيلهم بآي قرآن غدا يدرسُ
٢٠- وأبطل التمجيدُ ما أشركوا وأذهب التقديسُ ما قسَّسُوا
٢١- وأصبحوا والأرض منهم خلت فليس فيها نفَس ينفسُ
٢٢- وغودروا والسّعد من حظهم من بعد ريحٍ بالأسى يُبْخَسُ
٢٣- ومن يكن يضحكً من غيِّه أضحى بما صار له يعبسُ
٢٤- وفارقوا الأوطان واستصحبوا كربًا لهم من ودهم يحبسُ

٢٥- وأورت الله مليك الورى ما كان منهم دائمًا ييأسُ
٢٦- وصار فتحًا سايرًا ذكره كالشّمس لا يعدمها مجلسُ
٢٧- والنظم قد رتب تاريخه بجيدِها قد سلمتْ رُودسُ
٢٨- فليهنِ هذا الفتح من قلبه بما ينافي الدين لا يدنسُ
٢٩- فإنه فتح تباشيره في كل قطر دائمًا تَهجُسُ
٣٠- دام مليك العصر مستظهرًا والكفر في قاع الردى يركسُ
٣١- ما بقي التوحيد في أسـ ـعد الطالع والشرك له الأنجسُ

وقال[٢٣]: [من مجزوء الرجز]

١- حالُ المقلّ لم يزلْ يشكو اضطرارًا مَسَّهُ
٢- يقول لما ضيفُه يُذْهب عنه أُنسهُ
٣- إنّ الذي يزورني يظلمني ونفسَهُ

وهذه مطارحة شِعرية مع الغزي، افتتحها بدر الدين الغزي بقوله[٢٤]: [من الرمل]

أزبد البحر هياجًا ورَغى وتعلى وتعدّى وطَغى

فقال العباسي:

قلت لَمّا جدّ فينا عَزمه وجميل الصبر منّا استفرغا

الغزي:

وبنا قد أُنشبتْ أظفاره ولنا كشّر نابًا قد شَغَا

العباسي :

وبغـــى إصـــلاح مـا يحملنـــا بفـــساد الحـــال لَمّـــا أن بغـــى

الغزي :

ربنـا سخّـره واصـرف شـــره وأنلنـــا مـــن حبـــاهُ الْمُبْتَغـــى

العباسي :

وانثـر الـريح رخـاء سجـسجا وأعـــد ظـــلّ الأمـــاني مـــسبغا

الغزي :

وأرحنـــا مـــن أذى مركبـــه فهـو عـن مقـصدنا قـد روَّغـا

العباسي :

وتوانـــا عـــن منايـــا لاهيـــا عـــن هـــوان بلُبـــان مـضغا

الغزي :

بحبـــال جـرّهـــا في مَوجـــه في جبـالٍ مدّهـــا لـــن يفرغـا

العباسي :

وبإيعـــاد عظيـــم قـــد هَـــذا وهـــو في لج عبـــاب (ذَلَغـــا)

الغزي :

فبـسلـم قـــد لقينـــا حربـــه وهـو قـد شـبّ لنـا نـار الـوغى

العباسي :

فهـو أعمـى مـا رآنـــا أبكـم لم يجبنـا بـل أصـم مـا صَغـــا

الغزي :

لـشهـي الأكـل قـد أحرمنـا ولـصافـي شربنـا مـا سـوّغا

العباسي:

ورجـاء القلـب في اللطـف غـدا واثقًـا فـي دفـع ضـرّ بلغـا

الغزي:

فاستجـاب الله منّـا وكفـى شـر شـيطان الأسـى إذ نزغـا

العباسي:

وحبانـا بِـرّه فـي بَـرّه وإلـى مـا يُبتغَـى قـد بلَّغـا

العباسي:

وحبانـا بِـرّه فـي بَـرّه وإلـى مـا يُبتغَـى قـد بلَّغـا

الغزي:

فنعمنـا في ريـاض الأنـس في رفعـةٍ مـع خفـض عـيش رُفغـا

العباسي:

فلـهُ الحمـد علـى مـا خـصَّنَـا مـن هبـاتٍ ظلهـا قـد أسـبغا

الغزي:

١- وعلى المختـار منه دائمًـا صلـوات كل حيـن تُبْتَغى

٢- وعلى الآل مع الأصحاب ما أفـل النجـم دجـى أو بَزَغَـا

وكتب لقاضي قُسْطَنْطِينيَّة سعدي بن عيسى، وقد عَمَّر منزلاً وسكن فيه يوم النيروز[٢٥]: [من الرمل]

١- يا عظيمًا دونَه شمسُ الضحى بدليـل قـطٍّ مـا فيـه خفا

٢- هـي بالمنـزل تعطـى شرفًـا وبـك المنـــزل يُعطى الـشرفا

وقال يجيب عن لغز بدر الدين الغزي[٢٦]: [من المجتث]

١- يـا مـن لمجـد عـلاه بكـــر المعـــاني تُـــزفُّ
٢- ألغزت شيئًا بديعًا لـه القلـــــوب تـــــرفُّ
٣- كم مال عن ذي كمال وللجهـــــول يحـــــفُّ
٤- وكـم بـه جـاء فـتح وكـم بـه حَـل حتـفُ
٥- وإن ترخمـــه يـــأتي لـــه معـــاني تـــصفُّ
٦- وإن تـــرخم وتقلـــب يَلـــوح مـــن ذاك حـــرفُ
٧- وفـاءه أحـذف تجـده اسمًـــا بـــه جـــاء عـــرفُ
٨- واعكسه تشهده حرفًا والنهـــي منـــه يـــشفُّ
٩- لا زلت ترقى المعالي مـــا دام يَطـــرف طِـــرفُ

وقال[٢٧]: [من الطويل]

١- كثيرٌ مِن الخلاّن يُبدِي تملقًا وفي قلبِـه داءٌ مِـن الـشَّرِّ مُويـقُ
٢- كبحرٍ أُجاجٍ لا يسوغُ مذاقُهُ يُرِيـكَ صَفاءً قاعُـهُ وهـو مُغـرِقُ

وقال[٢٨]: [من الخفيف]

١- إن يكن للصباح فضلٌ على الليـ ـــلِ بتنويرِه دُجَـــى الأحـلاكِ
٢- فله في تفرقِ الشملِ فعـلٌ لم تـسَعْـه دوائـرُ الأفـــلاكِ

وقال[٢٩]: [من الوافر]

١- عذرت أخا الجهالة مذ رآني وأولانـــي جفًـا منـــه وذلاّ
٢- رآنـي لا بعينـيْ آدمـــيٍّ فأدبـر مُعْـرِضًـا عنِّـي وَوَلّـى

وكتب إلى والد "بدر الدين الغزي"[٣٠]: [من الكامل]

١- هل لي إلى سُبل اللقاءِ وُصُولُ لأُرى وحبـل مـسرتي موصـولُ
٢- وتقـرّ عـينٌ طالمـا باتـت بـه والجفـن معهـا بالقـذى مكحُـولُ
٣- ويقـرّ قلـبٌ دائـمٌ خفقانُـه ويـصحّ جـسْمٌ بالأسـى مَعْلـولُ
٤- وأقولُ غفرا للذي جَنَتِ النّوى وأحيـدُ عـن ذمّـي لهـا وأحـولُ
٥- وأرى الذي فوقَ العنان محلُّه رأي العَيـان وينقـضي التخييـلُ
٦- وتزولَ أوهام الحُلُوم وينتهي شـبه يحقّـق دَرْكَهـا التأميـلُ
٧- فهنالك الآمالُ يذهبُ عينُها ويفـوت وسـواسٌ بهـا ويـزولُ
٨- وأرى محيّـاه رضـيًّا كاسمـه عـني (ويـرغمُ حاسـدٌ) وجهـولُ
٩- فهو المنى والقصدُ والسؤلُ الذي أبغيـــه والمرجـــوّ والمأمـــولُ
١٠- يـا مـن بـه وبحبِـهِ وولائـه أحيـا وأُقْبَـرُ لـستُ عنـه أزولُ
١١- عـودتني بلطيـف بـرٍّ عـادةً كـم عـادَ لـي ممـا تُعِيـدُ جميـلُ
١٢- ترتاحُ روحي عندَ لقياها كما يرتـاحُ مـن روح الـشّفاءُ عليـلُ
١٣- ويهزُّني عند (ادّكارِيَ) لطْفها طـربٌ كمـا هـزَّ الحكـيمَ شمـولُ
١٤- وأظلّ مرتقبًا طلوعَ سعودِها رُقْبـى الهـلال وقـد أطـلَّ حلـولُ
١٥- والآن (أبطأ) سيبها في سحّه وغَدَتْ رياض الأنس وهـي محـولُ

١٦- وذوتْ غروسٌ أنت غارسها ومِنْ شـأن الـسحابِ تكـرم وهطـولُ
١٧- فابلل بها رَمَقًا متى أهمَلْتَه حُـــقَّ الفنـاء وحُـــتّم التَحْويـلُ
١٨- ولأنت أكرم شيمة من أن يرى لـك سـائلٌ والـدمع منـه يـسيلُ
١٩- واهنأ بلقيا سيد فرع الورى عِلْمًـا وقـد طابـت لديـه أصـولُ
٢٠- متفرّدٌ جمعت حسانُ خلالِهِ (غررًا) لهـا زهـرُ الـسّماءِ حُجـولُ
٢١- عَرْف المعارفِ قد تضوّع نشرهُ منـــه وبقولـــهِ عليـــه دليـــلُ
٢٢- حَسْبُ المشيد به اختصارُ حديثه متعمـــدًا فالـــشرحُ فيـــه يطـــولُ
٢٣- يهوى لقاكَ بالسَّماع وقد أبى إلاّ العيـــان فجـــدَّ منـــه رحيـــلُ
٢٤- وإذا التقى البحران قُلْ في مجمعِ الـ ـبحرين مهمـا شـئت فهـو قليـلُ
٢٥- والعبدُ في حال التلاقي راغبٌ في دعـوةٍ تعطـى الْمُـنَى وتُنيـلُ
٢٦- لا زلْتَ ظلًّا سابغًا يأوي لهُ مـن كـان في طلـبِ الخـلاصِ يجـولُ
٢٧- ولنجلك البدريّ أسنى رتبةٍ تـــسمو إليهـــا هِمّـــةٌ وتميـــلُ
٢٨- ويدومُ كهفًا للأنام (وملجأً) في ظلّـه تـأوي الـورى وتقيـلُ
٢٩- ماسُلَّ سيفُ الفجرِ من غِمْدِ الدُّجى وَبَدا بكـف الشّرقِ وهـو صقيـلُ

وقال[٣١]: [من السريع]

قُـــلْ لـشياطيـنَ البُغَـاةِ اخـسَأوا قـد أُوتِـــي الملـكَ سُـلَيمـــان

وقال لبدر الدين الغزي[٣٢]: [من الكامل]

١- عَجِبَ الأنامُ لنورِ قُطْرٍ زُرْتَه يـا ذا العُـلا والمجـــدِ والتمكـــين

٢- فعجبتُ من إعجابهم وأجبتهم لمَ لا يُضِيءُ الكونَ بدرُ الدينِ

وقال[٣٣]: [من مجزوء الرجز]

١- يا واهبًا غفرانَه لمن أعزّ شأنه

٢- هبْ لفؤادي قوةً تزِدْ به إيمانَه

٣- حتّى يقول دائمًا لمن يرى جثمانه

٤- سبحانه سبحانه سبحانه سبحانه

وأخبر (العباسيُّ) بدرَ الدين الغزي أنه رأى نفسه في المنام وهو ينشد ويشير للأديب علاء الدِّين بن مُلَيك وكان حيًّا[٣٤]: [من الزجل]

١- هذا الأديبُ لص نشَّال في كلّ بيتٍ كمْ لو خزيَهْ

٢- يبطُّ يشْرُطُ ويشْتَالُ وَيْش يعملوا أهلُ قُطيَهْ

وقال[٣٥]: [من الكامل]

١- جَادَتْ لنا الأنواء مغدِقَةً والصيفُ أقبلَ مسرع الجريِ

٢- فكأنّما شمسُ الضّحى خرّفتْ فتشبّه السرطانُ بالجديِ

وكتب لُغْزًا إلى بدر الدين الغزي[٣٦]: [من الرجز]

١- يا من غدا لبّ العلوم حاويًا (ومن) بجواهر البديع حاليَا

٢- ما اسم ثلاثيٍّ تُرَى حُرُوفُه ثلاثة وقد ترى ثمانيَا

٣- وهو على استوائه فعل وإن عكسته كان كذاك باديَا

٤- وإن حذفت أولاً منه يُرى فعلاً يكون ذاهبًا وجائيَا

٥- وإن تحرفه فذو الذوق يحُد عنه ويُلْفَى لأساه قاليَا
٦- وإن عكسته تَراه صالحا من بعد ما كان مهينًا واهيَا
٧- وكله في حَال قلبه يُرى فعلاً به تحصلُ الْمَرَائيَا
٨- وإن أزلت عينه أقام في مقامه ولا يكون نابيَا
٩- وإن قلبته تَجده رقةً يحكي الذي بالسقم أضحى باليَا
١٠- وإن جعلت لامه فاءً لهُ كان لما تزبرُه مساويَا
١١- وإن قلبته فشيءٌ حامضٌ يُأكل منه حاضرًا وباديَا
١٢- وإن لثلثيه اعتبرت تلقهُ أمر لمن غدا بربع ثاويَا
١٣- واسم لبلدة تناءت دارها ودونها كم قطعوا فيَافيَا
١٤- وهْو إذا اعتبرته حقيقة تراه شيئًا نائيًا ودانيَا
١٥- يوجد في أرض العراق مثلما يوجَدُ في أرض الحجاز ناميَا
١٦- وفي خراسان إذا طلبتهُ يُلفى وفي الروم يكون وافيَا
١٧- ومصر والشام ففيهما لَهُ مآثرٌ قد عدمت مُضَاهيَا
١٨- فاقبله لغزًا قد أتى من مخلص لم يَبرح الدهر عليك ثانيَا
١٩- وحُلَّه وحلِّه بجوهر من لفظك الجزل بقيت سَاميَا
٢٠- منعمًا في ظلّ عيش لم يزلْ عليك دومًا سَابغًا وضَافيَا

وقال يجيب عن لغز بدر الدين الغزي[٣٧]: [من السريع]

١- يا بدر دين الله يا من غدا لكل فن في الورَى حَاوِيَا

٢- ألغزت في اسم شامخ قدره ... ما زال في أوج العُلا عاليَا
٣- إن قلت بدر فهو أزهى سنا ... إذ بك أضحى للسهار راقيَا
٤- كم فيه دُرّ عقده لم يزل ... عند الذي يخبره غَاليَا
٥- وفيه رد لحسودٍ يُرَى ... بحسنه بين الورَى خَاسيَا
٦- وفيه برّ نبته مخصب ... وفيه بِر لم يزل جاريَا
٧- لو سَافر الراغب بُرْدًا له ... لعُدَّ في درب الوفا وانيَا
٨- كم فيه للظمآن بُرْد يُرى ... من بَرَد يروى به صَافيَا
٩- أحسن من تحبير بُرد غدا ... به يماني يُرَى كاسيَا
١٠- لو ابن بُردٍ رام نظمًا له ... أعيى وأضحى عجزه بَادِيَا
١١- أو النواسي غدا بالذي ... أحدثه العجب به ناسِيَا
١٢- أو الوليد اعتد ما صَاغه ... في كل نوع عبثًا واهيَا
١٣- والمتنبِّي غدا عاجزًا ... بمعجز أضحى به غَاوِيَا
١٤- أو المعرِّيُّ تعرى عن الرشـ ... ـد ولم يلق له هِادِيَا
١٥- وليس بِدعًا ذاك ممن غدا ... بمجده عُطل العُلا حَاليَا
١٦- لا زال في سعدٍ وفي نِعْمَةٍ ... ما لاحَ نجم في الدجى زاهيَا

وكتب إلى القاضي سعدي بن عيسى قاضي القُسْطَنْطِينيّة[٣٨]:

[من البسيط]

١- قرّتْ عيون العُلا مُذْ بتَّ راعيها ... وبالثناء شَدَتْ إذْ صِرْت داعيها

٢- ومنك قد أشرقت أيامها وغدت ... من مـدّها بالـسنا بيـضًا لياليهـا

٣- وكيف لا يبهج الأيام (سؤدد) مَنْ ... سمـت معاليـه عـن قـرم يـساميها

٤- لا تسألن سوى علياه عنه تصب ... فالـدار تنبـئ عـن مقـدار بانيهـا

٥- كأنـه نـسخة في المجـد مثبتـة ... ومـن عـداه دخيـل في حواشـيها

٦- انظر بعينك في الأشخاص هل تَرَ مَنْ ... يُـولِي المعـالي سـواه أو يُواليهـا

٧- واستخبر البيض عن مقدار همته ... تُخبرك بالعجز منها عـن مَواضِـيْهَا

٨- واستفهم السُّمر عن أدنى عزائمه ... تجبـك عـن كنـه علياهـا عَواليهـا

٩- يا من يقيس جداه بالسحاب أفق ... فـالبحر يعجـز عنهـا إذ يُجَارِيْهـا

١٠- جدواه مال وجدوى السحب جود حيا ... فـالفرق كالـصبح يبـدو في دياجيهـا

١١- أكرم به بشرًا (أنشاه باريـه) ... علـى خـلال تعالَـتْ عـن مُبَاريهـا

١٢- آثاره (كنَّ) بالتفصيل مفصحة ... عـن حسن ظاهرهـا منـه وخَافيهـا

١٣- من أين ما جئتها تظفر بمخبرها ... أمــن قوادمهــا أم مــن خَوافيهــا

١٤- تبارك الله كم من آية ظهرت ... مــن مجـده وفـم الأيـام تَاليهـا

١٥- يكفيك أن عطاياهُ وأنعمـه ... تجيب قبـل صـدى عـافٍ يُناديهـا

١٦- ما فيه عيب سوى أنّ الوفود لـه ... تنــسى بتأهيلــه قربــى أهاليهــا

١٧- أقامـه الله للأيـام يظهـر مـا ... محـتْ يـدُ الـدهرِ مِـنْ آثـارِ عَافيهـا

١٨- إذا تأملتـه حـق التأمـل يـا ... مـن لـيس في قلبـه بلـوى يُناجيهـا

١٩- تظن أن كرام الناس قد نـشروا ... والأرض جادت على الدنيا بما فِيْها

٢٠- يا واحد العصر صبح الفضل منك بدا كالشمس في الظهر لا شيء يُواريها

٢١- من مغرب الكون للشرق المنير فلا يرى لعلياك ذو مجد يُوازيها

٢٢- أين الثرى والثريَّا في كثافته ونورها وتجليها بزاهيها

٢٣- تعلم المكرمات الناس منك فقد أصبحت مرشدها فيهم وهَاديها

٢٤- كم عاطل الحال مثلي مسه كرم من منتداك فأمسى وهو حَاليها

٢٥- وكم شكا قسوة الأيام ذو كربٍ فما انثنى عنك إلاَّ لان قَاسِيْها

٢٦- وراضها منك تدبير ومرحمة فأبدلته بوصل من تَجَافِيْها

٢٧- وكم غدت سحب الإحسان ممسكة وجود كفك يُغني عن غَواديها

٢٨- إيه لعمري قذفت الأنام بما حويت من رتبٍ أعيت مَراقيها

٢٩- وحزت من شيم شام اللحاق بها لمعُ البروق فلم يلحق هَواديها

٣٠- وسدت (بالسؤدد) المحض الذي عمرت ربوعه لك أخلاق تُعانيها

٣١- وسعيك الجد في تأثيل مكرمةٍ بين البرية مشكور مَسَاعيها

٣٢- دم وابق واسلم لمعروفٍ تجدده بين الأنام لمثريها وعَافيها

٣٣- في دولة بدوام السعد دائرة والله باللطف والإسعاد حَاميها

٣٤- واهنأ بنوروز عام عائدًا أبدًا إليك منه مسرات تواليها

٣٥- في صحة واغتباط وانبساط يد فيما له النفس تهوى من مَراضيها

٣٦- وما لذاتك في الدنيا وزُخْرُفها شيءٌ يساوي علاها أو يُدانيها

٣٧- يا من بعليائه الأمثال سائرة ما بين حاضرها تبدو وبَاديها

٣٨- في مثل ذا اليوم يهدي القادرون إلى أربابهم غررًا تسمو غَواليها

٣٩- وليس لي غير مقدور الثناء فلي فيه حدائق قد طابت مَجانيها

٤٠- إن أدعها لك في حمدٍ وفي مدحٍ جاءت إليّ مطيعات قَوافيها

٤١- ففيه أهديت أبياتًا إذا قبلت أربت على دُرَرٍ تزهو مَرائيها

٤٢- عسى تهب لها ريح القبول فلا يُرَى لها شاعر يوماً يُحاكيها

٤٣- وعش لمجدٍ يرى الأنامُ منكَ بهِ مفاخرًا تملأ الدنيا مَعاليها

٤٤- وسعد نجلك ممدود الظلال فلا يُرَى لعليائه نقص يُشَانيها

٤٥- في كل لمح له مجد يجددهُ محمود أخلاقه اللاتي تُراعيها

٤٦- ما رَنَّحت عذبات الرند بارحة وما ترنّم في الأدواح شَاديها

فهذه هي البقية التي تمكنت من إضافتها على ما سبق أن نشرته في الديوان، وبها يكون قد تجمع لدينا حصيلة شعرية لعبد الرحيم العباسي لا يستهان بها في الدراسات الأدبية، وما أوردته ليس مبرّأ من الخطأ والقصور، فربما تكون هناك أشعار أخرى في مصادر لم أطلع عليها، وربما يكون هناك من الفضلاء من نهض بجمع ما أوردته هنا ولم أعلم بعمله على الرغم من اهتمامي بشِعر عبد الرحيم العباسي ومتابعتي لملاحقة مصادره، وحسبي أنني اجتهدت وما قصّرت. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

* جامعة الطائف، الطائف، المملكة العربية السعودية.

(١) **المطالع البدرية في المنازل الرومية**: بدر الدين الغزي الدمشقي، حقّقها وقدّم لها: المهدي عيد الرواضية، دار السويدي، أبو ظبي، ط١، ٢٠٠٤م، ١٨٣-١٨٤.

(٢) نفسه ٩٦-٩٨، والأبيات ١-١٠، ١٣ له في **منح رب البرية في فتح رودس الأبية** ١٠٤، وضبطت كلمة رُقْيا هكذا في المصدر الأول وهو ضبط يخلّ بالوزن، والصواب ما وردت في المصدر الثاني. وورد البيت الرابع في **منح رب البرية**: "لها لمس"، والبيت على أي حال مضطرب وغامض، وربما يحسن أن يكون هكذا:

"كاد من يَرقى لها يدْ نُو له لَمْسُ الشهاب"

وفي هامش **منح رب البرية في فتح رودس الأبية**: عبد الرحيم العباسي (ت ٩٦٣ هـ)، تحقيق: د. فيصل عبد الله الكندري، حوليات كلية الآداب، الكويت، ١٩٩٧م، ص١٠٣، أن "ككوا بلدة تقع في شمال مدينة مرمروس أو مرمريس". وجفان كالجواب: الجفنة: القصعة والبئر الصغيرة، ج: جفان". **المعجم الوسيط** ١٢٧، والجابية: الحَوْضُ الجامِعُ للماءِ". **تاج العروس من جواهر القاموس**: للمرتضى الزَّبيدي (ت ١٢٠٥ هـ)، تحقيق: لفيف من المحققين، مطبعة حكومة الكويت، وزارة الإعلام، سلسلة التراث العربي، نشر على سنوات متباعدة، ٣١٥/٣٧، وفي هذا البيت اقتباس من قوله تعالى: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾. سورة سبأ، الآية (١٣).

(٣) نفسه ٢٣٥-٢٣٦، واللغز هو كلمة "لغز".

(٤) نفسه ١٤٦، وورد صدر البيت الثاني هكذا: "ما بنورة منتهاها"، والصواب: "ما تم إثباته، بدلالة قول بدر الدين الغزي في إجابته عن هذه الأحجية:

يا بحرَ علم وجودٍ لكل غادٍ وصَـــادِ

لعل ذا اللغز يأتي في ختمِ سورة صادِ

(٥) نفسه ٢٠٨. (٦) نفسه ١٤٤، وورد البيت الثالث مضطربًا هكذا.

(٧) **منح رب البرية في فتح رودس الأبية** ١٠٢، والبيت الثاني مضطرب في عجزه.

(٨) نفسه ١٤٧. (٩) نفسه ٢٨١-٢٨٢.

(١٠) نفسه ١٤٨-١٥٠، وقد وردت ضمن قصيدة في (٣٣) بيتًا، ورد منها في الديوان (١٧) بيتًا فقط ضمن قصيدة برقم (١٥)، وتضاف هذه الأبيات إلى القصيدة بأرقامها فيها، وهناك فروق في روايات بعض الأبيات الواردة بين هذا المصدر والديوان، والأبيات ١-٦ هنا له في **الكشكول**: لبهاء الدين العاملي (ت١٠٣١هـ) تحقيق: الطاهر الزاوي، طبعة عيسى الحلبي، ١٩٦١م، ٢٥٢/٢، وورد البيت الثاني فيه برواية: "غاب عنها"، وورد البيت الثالث فيه أيضًا برواية: "فهو... دون وأد"، وورد في **المطالع البدرية**: "دون وادي"، وقافية **الكشكول** تفسّر المعنى إلّا أنّ بها عيبًا من عيوب القافية بتحقيق همزة الكلمة، يسمّى هذا العيب بسناد الردف، وورد البيت الخامس في **الكشكول** برواية: "لي منه"، وورد البيت السادس برواية: "غاب" مكان ضل في صدر البيت وفي عجزه، وورد البيت الثامن هكذا: "أذرع" بالزاي المعجمة، ولعل الصواب "أدرع" كما أثبت، ومعنى أدرع الأفق، أي أرعاه طوال الليل، وأجاوز أعظمه. انظر: **تاج العروس** ٥٤٣/٢٠. "والسُّها: بالضَّمِّ مَقْصور: كَوْكَبٌ؛ وفي الْمُحْكم: كُوَيْكِبٌ صغيرٌ؛ خَفِيُّ الضَّوْءِ يكونُ مع الكَوْكَبِ الأَوْسطِ من بَناتِ نَعْشٍ الصُّغْرى؛ وفي **الصِّحاح**: في بَناتِ نَعْشٍ الكُبْرى؛ والنَّاسُ يَمْتَحِنونَ به أَبْصارَهم". **تاج العروس** ٣٤٣/٣٨.

السهاد: قال صاحب **تاج العروس**: "وفي **التهذيب**: السُّهَارُ، والسُّهادُ بالراءِ والدال... والسّاهُورُ: القَمَرُ نَفسُه". **تاج العروس** ١١٣/١٢. السُّهاد: الأَرَق. **تاج العروس** ٢٣٨/٨.

(١١) نفسه ١٤٣، ٢٠٧.

(١٢) نفسه ١٥٣-١٥٤، وورد في البيت التاسع: "أسوارة"، وورد في البيت التاسع: "منأى"، و"الفَدْفَد: المكان الْمُرْتَفع فيه صَلابةٌ. و قيل: الفَدْفَد: الأَرْض الْمُسْتَوِيَةُ". **تاج العروس** ٤٨١/٨.

(١٣) نفسه ١١٩، ووردت كلمة قافية البيت الثاني فيه مصحّفة هكذا: "درف" بالدال المهملة.

(١٤) نفسه ٢٠٨، وفيه: "أجر صابر". (١٥) نفسه ٢٠٦.

(١٦) **منح رب البرية في فتح رودس الأبية** ١٢٩-١٣٠، وورد البيت التاسع فيه هكذا: "انتضان"، وورد البيت الأخير فيه هكذا: "قال بِشرًا مبشر". السماكان: نجمان نيران أحدهما في الشمال وهو السماك الرامح، و الآخر في الجنوب، وهو السماك الأعزل". **المعجم الوسيط**: إصدار مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٤م، ٤٥٠.

(١٧) نفسه ٢٣٦-٢٣٨، واللغز هو كلمة "الخبر". وتزبر: أي تكتب وتسطر. ينظر: **أساس البلاغة**: للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ): تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ٤٠٧/١.

(١٨) نفسه ٢٤١، واللغز هو كلمة "النهار".

(١٩) نفسه ١٨٢-١٨٣، واللغز هو كلمة (عز). الطِّرْز بالكسر: البَزُّ والهَيْئة". **تاج العروس من جواهر القاموس** للمرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: لفيف من المحققين، مطبعة حكومة الكويت، وزارة الإعلام، سلسلة التراث العربي، نشر على سنوات متباعدة، ١٩٥/١٥، والجمز: أي العَدْوُ؛ انظر: **تاج العروس** ٧١/١٥.

(٢٠) نفسه ١٥٥-١٥٦، والسادس فيه هكذا: "مرحج"، والتاسع فيه: "وبالهناء"، والفَوْدُ: النّاحِيَةُ من كلِّ شيْءٍ... والفَوْدُ: الفَوْجُ". **تاج العروس** ٥١٠/٨. على كل ذي ميس: أي على كل متبختر مختال". **تاج العروس** ٥٢٧/١٦، مرجح: أي حليم. انظر: **تاج العروس** ٣٨٥/٦. و"الدَّخَلُ: الغَدْرُ والْمَكْرُ والداءُ والخَدِيعَةُ". **تاج العروس** ٢٨ /٤٧٩، و"الشَّمْزُ: نُفورُ النَّفْسِ مِمّا تكرَه، عن ابن الأَعرابيّ، وتَشَمَّزَ وجهُه، أَي تَمَعَّرَ". **تاج العروس** ١٨٠/١٥، الوَشْزُ، بالفتح، ويُحَرَّك: الْمَكانُ الْمُرتفعُ". **تاج العروس** ٣٧٣/١٥، و"الطَّنْز، بالفَتْح: السُّخْرِيَة". **تاج العروس** ١٩٨/١٥.

(٢١) نفسه ٢٢٤، وورد البيت (٣) فيه هكذا: "يث شرفا"، وورد البيت (١٣) فيه هكذا: "وإذا شذا"، وورد البيت (٥٠) هكذا: "فوقت" بالقاف المثناة من فوق.

"الإبْلاس: الانْكِسارُ والحُزن، يقال: أَبْلَسَ فلانٌ: إذا سَكَتَ غَمًّا وحُزنًا" **تاج العروس** ١٥/٤٦٤، "كَيْوان: نجم يُقالُ له: زُحَل". العين ٥/٤٢١، و"الشنار: العَيْب والعار". العين ٦/٢٥١، الأحنف: هو الأحنف بن قيس، المضروب به المثل في الحلم. ينظر: **وفيات الأعيان**: لابن خلكان (ت ٦٨١ هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ٢/٤٩٩. إياس: "هو أبو واثلة، إياس بن معاوية، وكان قاضيًا فائقًا زكِنًا، يضرب بزَكَنه المثلُ. ولما أراد أبو تمام أن يتمثل به في شِعر له ولم يستوِ له الوزن أن يذكرَ زكنه في البيت أقام الذَّكاء مقام الزَّكن فقال:

إقدامُ عمرو في سماحةِ حاتمٍ في حِلم أحنف في ذكاء إياسِ

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ)، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ط١، ١٩٩٤م، ١/١٨١. والزكن: زكن: زَكِنَه، كفَرِحَ، يَزْكُنه زَكَنًا، وأَزْكَنَهُ إزْكانًا، الأُوْلى الفُصْحى، ونَسَبَ الجوْهرِيُّ الثانِيَةَ إلى العامَّةِ: عَلِمَهُ وفَهِمَهُ وتَفَرَّسَهُ وظَنَّه". **تاج العروس** ٣٥/١٤٩.

رضوى: جبل بالمدينة. **معجم البلدان**: لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ٣٨٥١، ابن برمك: هو خالد. ينظر: **وفيات الأعيان** ٦/٢٢٠، بالغ الشاعر في الإعلاء من سماحة الممدوح التي تجعل ابن برمك مثل مادر الذي يضرب به المثل في البخل، "وهو: رجل من بنى هلال بن عامر، بلغ من بخله أنه سقى إبله، فبقى في الحوض ماء قليل فسلح فيه ومدَرَ الحوض بالسلح أي لطخه" **ثمار القلوب** ١/٢٣٢، حاتم: هو حاتم الطائي المضروب به المثل في الكرم والجود. انظر **ثمار القلوب** ١/٢١٧، والمَرَس: الحَبْل، سمِّيَ لتمرُّسِ قُواهُ بعضِها ببعض، والجمع أمراس". **مقاييس اللغة**، لابن فارس (٣٩٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر، ٥/٣١٠، العود العاسي: أي الجاف اليابس. انظر: **تاج العروس** ٣/١٤٧، البرجاس: هدف ينصب على رمح أو سارية، يونانية، ومعناه عندهم رمح أو سارية في أعلاه كرة من ذهب أو فضة يرميها الحُذَّاق وهم على الجياد، ج: براجيس. **المعجم الوسيط** ٤٧، الأنقاس: "النقس: المداد يكتب به،

ج: أنقاس وأنقس". **المعجم الوسيط** ٩٤٦، فوفت من التفويف، وهو: "أن يؤتى في الكلام بمعان متلائمة في جمل مستوية المقادير أو متقاربتها". **الإيضاح في علوم البلاغة**: للخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.، ٣٥٨.

* **العربية**: رَضْوَى جبلٌ يقع في محافظة ينبع التابعة لمنطقة المدينة المنورة وليس فيها. **أ.م.ض.**

(٢٢) **منح رب البرية في فتح رودس الأبية** ١٢٤-١٢٥، وكذا وردت الكلمة الأولى من البيت (٢٥). رودس: جزيرة في البحر من الثغور الشامية، افتتحها جنادة بن أبي أمية عنوة في خلافة معاوية... ورودس هو حصن أفريقيا، وهو في الأرض الكبيرة، مقدار عشرين ميلاً، وبينها وبين قبرس عشرون ميلاً، وبين ساحل الإسكندرية أربعة أيام". **الروض المعطار في خبر الأقطار**: لعبد المنعم الحميري، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤م، ٢٧٨. ينبس: "يقال: ما نَبَس فلانٌ بكلمة: أي ما تكلم". كتاب **العين**: للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ٢٧٢/٧. يركس: أي يقلب على رأسه. ينظر: **أساس البلاغة** ٣٠٨/١.

اغسل رجلي فإنك نويت رفعَ الحدثِ

(٢٣) نفسه ١٤٥، وورد البيتان ١، ٢ منها فقط في الديوان برقم (٤٠)، وروايتهما هنا أدق من رواية الديوان.

(٢٤) نفسه ٢١٢-٢١٥، ويلاحظ أنّ رويّ هذه المطارحة هو حرف الغين، وقد ورد بيت منها في هذا المصدر على حرف الفاء (دلفا)، وهو أمر غير معهود في المطارحات التي تبنى على وزن واحد ورويّ واحد، لذا رجحت وقوع تحرّف في هذه الكلمة، وقلت: لعل صوابها "دَلَغا"، والدّالِغُ: لَقَبُ الإنسانِ في سُوْءِ ضحكِه"، **تاج العروس** ٤٧٣/٢٢، وكذا ورد البيت!، ورغى البحر: أي اشتد هياجه حتى صار لموجه صوت، ولمائه رغوة. انظر: **تاج العروس** ١٦٨/٣٨ وما بعدها، و"الشَّغا: اخْتِلافُ الأَسْنانِ، أَو اخْتِلافُ نِبْتَةِ الأَسْنانِ؛ كما في الْمُحْكَم، بالطُّولِ والقِصَرِ

والدُّخُولِ والخُرُوجِ، وفي الأساسِ: هو اخْتِلافُ النِّبْتَةِ والتَّراكبِ، أَو أَنْ لا تَقَعَ الأَسْنانُ العُلْيا على السُّفْلى". **تاج العروس** ٣٨/٣٨٠–٣٨١. والسجسج: الاعتدال والطِّيب. انظر: **المعجم الوسيط** ٤١٧، وعَيْشٌ رَفيغٌ: خَصيبٌ. **العين** ٤/٤٠٧.

(٢٥) نفسه ١٤٧–١٤٨، هي من الرمل، وليست من الخفيف كما ورد في مصدرها.

(٢٦) نفسه ٢٤٢، واللغز هو كلمة "المال".

(٢٧) نفسه ١٤٤، ٢٠٨، وفي الوضع الأخير: "دافن الشر"، والموضع الأول هو الصحيح لاستقامة البيت.

(٢٨) نفسه ٢٨. (٢٩) نفسه ٢٠٦.

(٣٠) نفسه ١٥١–١٥٣، وورد البيت الثامن فيه هكذا: "وبرغم حاسدٍ"، ولعل الصواب ما تم إثباته، وورد في البيت (١٣): "إذكاري"، وورد في البيت (١٥): "إبطاء"، وورد البيت (٢٠) فيه: "غر"، وورد البيت (٢٨): "وملجا"، "والسَّيْبُ: العَطَاءُ، والعُرْفُ". تاج العروس ٣/٨٢، والحجول: القيود. انظر: **تاج العروس** ٢٨/٢٨١-٢٨٢.

(٣١) نفسه ١٤٧، وجاء في ديباجتها: "ومن الغرائب ما سمعه في المنام، وقد مات السُّلطان سليم خان، وأُخْفِي موَتُه إلى أن يحضر ولده سليمان"، والبيت لمامية الانقشاري أيضًا بهذه الديباجة في **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**: لعبد القادر العيدروس (ت ١٠٣٨هـ)، تحقيق: أحمد حالو، دار صادر، ٢٠٠١م، ٣٩٨.

(٣٢) نفسه ١٤٨.

(٣٣) نفسه ١٤٥، وقد كتبت الأبيات في بيتين فقط، وهذا مخالف لأنساق العروض في بحر الرجز، إذا التام منه يأتي في ست تفعيلات، في كل شطر ثلاث تفعيلات وليس أكثر من هذا.

(٣٤) نفسه ١٤٧. يبط: أي يشقّ. انظر: **تاج العروس** ١٩/١٥٤، "قطية: عشيرة كانت تتبع في العصر العثماني الأخير قضاء رجال ألْمع". **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**: عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٢م، ٣/٩٦١.

وقال ياقوت الحموي: "وقَطْيَة: قرية في طريق مصر في وسط الرمل قرب الفَرَما بيوتهم صرائفُ من جريد النخل، وشربهم من ركية عندهم جائفة ملحة، ولهم سَوِيق فيه خبز إذا أُكل وُجد الرملُ في مضغه فلا يكاد يبالغ في مضغه، وعندهم سمكٌ كثير لقربهم من البحر. قُطَيَّةُ: كأنه تصغير قَطاة من الطير، وهو ماء بين جبلي طيىءٍ وتيماءَ". **معجم البلدان** ٤/٣٧٨.

(٣٥) نفسه ١٠٠، "السَّرَطانُ: بُرْجٌ في السَّماءِ، وهو البُرْجُ الرابع، سُمِّيَ به لكَوْنِه يُشْبِهُه في الصُّورَةِ". تاج العروس ١٩/٣٤٤، و"الجَدْيُ مِن النّجومِ: جَدْيانِ: أَحَدُهُما: الدَّائِرُ مع بَناتِ نَعْشٍ، والآخَرُ: الذي بلِزْقِ الدَّلْوِ، وهو بُرْجٌ مِن البروج، ولاَ تَعْرِفُه العَرَبُ، وكِلاهُما على التَّشْبِيهِ، بالجَدْي في مَرآةِ العَيْنِ؛ كذا في الْمُحْكَم. وفي الصِّحاح: الجَدْيُ بُرْجٌ في السَّماءِ؛ والجَدْيُ: نَجْمٌ إلى جنبِ القُطْبِ تُعْرَفُ به القِبْلَةُ" **تاج العروس** ٣٧/٣٣١.

(٣٦) نفسه ٢٢٨-٢٣٠، وورد البيت الأول فيه: "وبجواهرمة: "قمر".

(٣٧) نفسه ٢٣٢-٢٣٣، واللغز هو كلمة: "بحر".

(٣٨) نفسه ١٥٦-١٦٠، ووردت الأبيات: ٣، ٣٠، ٤٣ فيه: "سؤود"، وورد البيت الحادي عشر هكذا: "أنشأه بارئه"، وورد البيت الثاني عشر هكذا: "آثاره لكن"، ولعلها: "آثاره كن". و"القادمة: الرِّيشةُ التي تَلي مَنكِبَ الجَناح وكلُّها قَوادِمُ وقُدامَى". **العين** ٥/١٢٣، "والخَوافي من الجناحينِ: مما دون القُوادِم لكلّ طائِرٍ، الواحدة خافيةٌ". **العين** ٤/٣١٤. والعذبات: الأغصان. انظر: **جمهرة اللغة**: لابن دريد الأزدي (ت٣٢١ هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ص١٢٩٧. و"الرَّنْدُ: ضربٌ من العود يُدخَّنُ به". **العين** ٨/٢١، و"النوروز أو النيروز: بالفارسية اليوم الجديد وهو أول يوم من أيام السنة الشمسية الإيرانية ويوافق اليوم الحادي والعشرين من شهر مارس من السنة الميلادية، وعيد النوروز أو النيروز، أكبر الأعياد القومية للفرس". **المعجم الوسيط** ٩٦٢، وهواديها: أي أوائلها. انظر: **العين** ٤/٧٨.

مكتبة العرب

العثيمين، عبد الله بن صالح، حول تاريخ الوطن، ط١، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٣٤هـ، ٢٤٠ ص.

هو كتاب جديد من كتب مؤرخ الدولة السعودية المعاصر العلاّمة الأستاذ الدكتور عبد الله بن صالح العثيمين، جمع فيه مجموعة من البحوث التي تنشر لأول مرة، وتلك البحوث والتعليقات والتعقيبات التي نشرت في الصحف والمجلات في فترات مختلفة تتناول ما نشره هو أو ما نشره غيره عن تاريخ الوطن.

ضمّ الكتاب ١٦ مبحثًا تتميّز بالدقة والبحث الأصيل عن الحقيقة التاريخية والمنهجية المنضبطة التي تتميّز بها كتابات مؤرخنا الكريم.

فمن هذه البحوث مثلاً بحث ضاف عن "أوضاع وسط الجزيرة العربية قبيل ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب" ناقش فيه المؤلف الأوضاع السياسية والاقتصادية والعلمية والدينية في بلاد نجد خلال تلك الفترة، بطريقة هادئة تتلمس الحقيقة دون انجراف إلى المبالغة أو التعميم.

ومنها بحث بعنوان "نظرات في كتابات رحالة ومستشرقين عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب" وفي هذا البحث يستعرض المؤلف آراء الرحالة الأوائل والباحثين المستشرقين كنيبور وبوركهارت، وكرايتون،

وريتزك، ومارجوليوث، وهنري لاوست، ورينتز، وجب، وكاش، ووايندر. ويختم البحث بالإشارة إلى مسائل أشار إليها أولئك الكتّاب، مع بيان الرأي فيها من وجهة نظر علماء الدعوة.

وتتنوّع البحوث الأخرى بين قراءة في بعض الكتب، وتعقيب على بعض الأبحاث مع تحليلٍ وافٍ لا يصدر إلا عن مؤرخ متخصص، تتّسم أعماله بالتمكّن ووضوح الحجة. الأمر الذي يجعل الكتاب إضافة حقيقية للمكتبة التاريخية السعودية بخاصة، والعربية على وجه العموم.

أ. م. ض

إهداءات إلى مكتبة العرب

أولاً- الكتب:

- الشِّعر في المدينة المنورة بين القرنين ١٢-١٤هـ، د. عاصم حمدان، كتاب المجلة العربية، ١٤٣١هـ.
- بدايات تعليم المرأة في المملكة العربية السعودية، محمد عبدالرحمن القشعمي، كتاب المجلة العربية، ١٤٣٢هـ/٢٠١١.
- الكشّاف التحليلي لصحيفة صوت الحجاز ١٣٥٠-١٣٦٠هـ/١٩٣٢-١٩٤١م، إعداد دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٧هـ.
- رحالة إسباني في الجزيرة العربية، (رحلة دومنجو باديا "علي باي العباسي" إلى مكة المكرمة) سنة ١٢٢١هـ/١٨٠٧م، ترجمه ودرسه وعلّق عليه د. صالح بن محمد السنيدي، إصدار دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٩هـ.
- تاريخ الوهابيين منذ نشأتهم حتى عام ١٨٠٩م، تأليف ألكسندر أوليفيه دو كورانسيه، ترجمة د. محمد خير البقاعي ود. إبراهيم يوسف البلوي، راجع الترجمة وقدّم لها وعلّق عليها د. محمد خير البقاعي، إصدار دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ.
- أنوار البروق في شرح قصيدة سيدي أحمد ز روق، لمحمد النابغة بن أعمر القلاوي، تحقيق وتعليق د. إسلم بن السّبتي.
- نوادر المخطوطات السعودية: نماذج لمجموعة من نوادر المخطوطات المحفوظة بدارة الملك عبدالعزيز، الإشراف والمتابعة: د. فهد بن عبدالله السماري، إعداد: أيمن بن عبدالرحمن الحنيحن وسعد بن محمد آل عبداللطيف، تصوير: عبدالله بن هويشل الهويشل، ومبارك عبدالله البقية، الترجمة إلى اللغة الإنجليزية: د. ريتشارد مورتيل، ط١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠٠١م.
- الأبواب والنقوش الخشبية التقليدية في عمارة المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية، سعيد بن عبدالله الوايل، إصدارات دارة الملك عبدالعزيز (٢٥٩)، ١٤٣١هـ.

ثانيًا- المجلات:

- الدعوة، العدد ٢٠٦١، ٢٨ شعبان ١٤٢٧هـ/٢١ سبتمبر ٢٠٠٦م، رئيس التحرير: عبدالعزيز بن عبدالكريم العيسى.
- أهلاً وسهلاً، العدد ٩، سبتمبر ٢٠٠٦م/شعبان ١٤٢٧هـ، السنة ٣٠، رئيس التحرير: قحطان عبدالله بلخير.
- الفيصل، العدد ٣٦١، رجب ١٤٢٧هـ/أغسطس ٢٠٠٦م، رئيس التحرير: يحيى محمود ابن جنيد.
- الفرقان، العدد ٤٠٥، ٢٠ رجب، ١٤٢٧هـ/٢٦ يونيو ٢٠٠٦م، رئيس التحرير: د. بسام خضر الشطي.
- الصحة العربية، العدد ٦٢، شوال ١٤٢٧هـ/تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠٦م، السنة ٦، رئيس التحرير: د. محمد بن حمود الطريقي.
- العالمية، العدد ١٩٩، شوال ١٤٢٧هـ/نوفمبر ٢٠٠٦م، السنة ١٨، رئيس التحرير: يوسف محمد عبدالرحمن.
- الضاد، العدد ٥، أيار ٢٠٠٦م، السنة ٧٦، رئيس التحرير: عبدالله رياض حلاق.
- الفرقان، العدد ٤١٣، ١٧ رمضان ١٤٢٧هـ/٩ أكتوبر ٢٠٠٦م، رئيس التحرير: د. بسام خضر الشطي.
- الفيصل، العدد ٣٦٦، ذوالحجة ١٤٢٧هـ/ديسمبر ٢٠٠٦م-يناير ٢٠٠٧م، رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد.
- الواحة، العدد ٤٢، السنة ١٢، الربع الثالث ٢٠٠٦م، رئيس التحرير: محمد النمر.
- الفيصل، العدد ٣٧٠، ربيع الآخر ١٤٢٨هـ/أبريل-مايو ٢٠٠٧م، رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد.
- عالم الإعاقة، العدد ٨٤، شوال ١٤٢٧هـ/تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠٦م، السنة ٩، رئيس التحرير: د. محمد بن حمود الطريقي.